




الدكتور أبو بكر العزاوي

بسم الله الرحمن الرحيم



الدكتور أبو بكر العزاوي

# اللغة والحجاج

# اللغة والحجاج

## الدكتور أبو بكر العزاوي

الطابـــع : العمدة في الطبع

رقـم الإيــــداع الـــقانـــونــي : 0208/ 2006

الحـــجم : 21.5/ 14.5

الطبــــعة الأولـــى : 1426/ 2006



---

عنوان المؤلف

ص . ب 4170 درب سيدنا – الدارالبيضاء

# الإهـــــداء

إلى منبع الحنان الدائم والعطف المتجدد

إلى معدن الصفاء والنقاء والإباء والهمة والطموح؛

إلى المعلم الأول والمدرسة الأولى التي درست فيها؛

إلى التي صنعتني إنسانا ومتعلما ومعلما ومربيا

إلى التي لولاها ما كان هذا الكتاب ولا كان كاتبه

إلى والدتي أطال الله عمرها ومتعها بالصحة والعافية،

وجزاها عني أحسن الجزاء :

أهدي هذا الكتاب سائلا المولى عز وجل أن ينفعني وإياها به، وسائر المسلمين أجمعين يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

" وحـاجه قومه. قال أتـحاجـوني فـي اللـه وقـــد
هدان . . . "

( سورة آل عمران، الآية : 65 ) .

" ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم، فلم
تحاجون فيما ليس لكم به علم "

( سورة آل عمران، الآية : 65 ) .

## مقدمة

نهدف في هذا البحث إلى دراسة ووصف بعض الجوانب الحجاجية للغة العربية، وقد تبنينا نظرية "الحجاج في اللغة" ( L'argumentation dans la langue )، التي وضع أسسها اللغوي الفرنسي أزفالد ديكرو (O. Ducrot)، إطارا نظريا ومنهجيا لهذا البحث. وتنطلق هذه النظرية من الفكرة الشائعة التي مؤداها : "أننا نتكلم عامة بقصد التأثير"، وهي تحاول أن تبين أن اللغة تحمل، بصفة ذاتية وجوهرية، وظيفة حجاجية، أي أن هذه الوظيفة مؤشر لها في بنية الأقوال نفسها، وفي المعنى وكل الظواهر الصوتية والصرفية والمعجمية والتركيبية والدلالية. وتنتمي دراسة الحجاج إلى البحوث التي تسعى إلى اكتشاف منطق اللغة، أي القواعد الداخلية للخطاب، والمتحكمة في تسلسل الأقوال وتتابعها بشكل متنام وتدريجي، وبعبارة أخرى فإن الحجاج يتمثل في إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب.

ومن الأسباب التي دفعتنا إلى اختيار هذه النظرية إطار نظريا ووصفيا لعملنا هذا، نذكر ما يلي :

1 – نظرية "الحجاج في اللغة" نظرية دلالية حديثة تقدم تصورا جديدا للمعنى من حيث طبيعته ومجاله، وتقدم أيضا أفكارا ومقترحات هامة بخصوص عدد كبير من الظواهر اللغوية.

2 – تمكنت هذه النظرية من التغلب على كثير من المشاكل والصعوبات التي كانت تعترض المقاربات الوصفية والماصدقية للمعنى، وخاصة المشاكل المرتبطة بالدور التفسيري لمفهوم الصدق ( La vérité ).

3 – تندرج هذه النظرية ضمن تيار حديث في الأدبيات اللسانية، لا يعتبر الوظيفة التواصلية الإخبارية الوظيفة الأساسية والوحيدة للغة، بل إنه على العكس من ذلك، يسند إليها دورا ثانويا

هذا عن أسباب اختيار النظرية الحجاجية، أما فيما يتعلق باختيار "الحجاج في اللغة العربية" موضوعا لهذا البحث، فإن ذلك يرجع إلى خلو الساحة العربية من مثل هذه المواضيع، في الوقت الذي حظي فيه موضوع الحجاج ومنطق اللغة والمنطق الطبيعي باهتمام كبير من قبل الأوساط العلمية الأوربية والأمريكية، فألفت فيه عشرات الكتب والدراسات، وخصصت له ندوات ورسائل جامعية عديدة.

ولقد كان الهدف من هذا البحث ما يلي :

1 – تأكيد فرضية الطبيعة الحجاجية للغة الطبيعية.

2 – إبراز بعض الجوانب الحجاجية للغة العربية في مستويات عديدة.

أما الكتاب فيحمل عنوان : "اللغة والحجاج"، ويهدف الفصل الأول منه إلى التعريف بنظرية "الحجاج في اللغة"، والتعريف بأهم مفاهيمها ومصطلحاتها مثل:

الحجة، النتيجة، الروابط والعوامل الحجاجية، التوجيه، السلم الحجاجي، المبادئ والمسلمات الحجاجية، ولقد عالجنا في مبحث مستقل منه ما دعوناه ب "الدلاليات الحجاجية"، مع التركيز على الطبيعة الحجاجية للمعنى، والعلاقة القائمة بين المحتوى الإخباري للقول وقيمته الحجاجية. وخصص الفصل الثاني من الكتاب لدراسة بعض الروابط الحجاجية في اللغة العربية مثل : "بل" و"لكن" و"حتى" لكثرة ورودها واستعمالها في الخطاب اليومي والعادي، ولم نكن نهدف، في هذا الفصل، إلى دراسة هذه الروابط دراسة شاملة تبين جوانبها المعجمية والتركيبية والدلالية والتداولية، وإنما كان الهدف منحصرا في إبراز بعض الاستعمالات الحجاجية لهذه الروابط، مع التركيز، طبعا، على الجوانب الأكثر أهمية، والأكثر ذيوعا وانتشارا، وانتقلنا، بعد ذلك إلى الفصل الثالث الذي درسنا فيه ظاهرة الاستعارة، وعملنا على إبراز بعض مظاهرها الحجاجية من خلال مفاهيم السلم الحجاجي والإبطال والقوة الحجاجية.

أما الفصل الأخير، فقد خصصناه للمقارنة بين الجوانب الإخبارية للكلام وجوانبه الإنجازية والحجاجية، وإذا كان اللغويون وفلاسفة اللغة وغيرهم قد استعملوا مصطلح "القوة" "La force" في مجال اللسانيات وفلسفة اللغة، وتحدثوا، في هذا الإطار، عن القوة الإنجازية والقوة الحجاجية، فقد دفعنا هذا إلى العمل على إبراز بعض

جوانب سلطة الخطاب وقوة الكلمات.

وقد قدمنا في الكتاب مقترحات وآراء واجتهادات شخصية عديدة تتعلق بالاستعارة أو بوصف الروابط اللغوية العربية أو بظواهر لغوية أخرى.

ولا يسعنا، في نهاية هذه المقدمة، إلا أن نشير إلى أننا واعون بمحدودية عملنا هذا، وواعون بجوانب القصور المتضمنة فيه، فهناك كثير من القضايا والإشكالات المهمة التي أشرنا إليها، في غضون البحث، بشكل سريع ومقتضب، والتي هي مشاريع بحث مستقلة وكاملة، والتي سنعالجها في بحوث ودراسات قادمة. والله الموفق للصواب.

# الفصل الأول

# الحجاج اللغوي
# والدلاليات الحجاجية

## 1 - مفهـــوم الحجـــاج:

نظرية الحجاج في اللغة تتعارض مع كثيرة من النظريات والتصورات الحجاجية الكلاسيكية التي تعد الحجاج منتميا إلى البلاغة الكلاسيكية ( أرسطو ) أو البلاغة الحديثة ( برلمان،أولبريخت تيتيكا، ميشال ميير. . . ) أو منتميا إلى المنطق الطبيعي ( جان بليز غريز. . . )

إن هذه النظرية التي وضع أسسها اللغوي الفرنسي أزفالد ديكرو ( O.Ducrot ) منذ سنة 1973 نظرية لسانية تهتم بالوسائل اللغوية وبإمكانات اللغات الطبيعية التي يتوفر عليها المتكلم، وذلك بقصد توجيه خطابه وجهة ما، تمكنه من تحقيق بعض الأهداف الحجاجية، ثم إنها تنطلق من الفكرة الشائعة التي مؤداها : "أننا نتكلم عامة بقصد التأثير" .

هذه النظرية تريد أن تبين أن اللغة تحمل بصفة ذاتية وجوهرية ( Intrinsèque ) وظيفة حجاجية، وبعبارة أخرى، هناك مؤشرات عديدة لهذه الوظيفة في بنية الأقوال نفسها.

ولأخذ فكرة واضحة عن مفهوم "الحجاج" Argumentation ينبغي مقارنته بمفهوم البرهنة Démonstration أو الاستدلال المنطقي. فالخطاب الطبيعي ليس خطابا برهانيا بالمعنى الدقيق للكلمة، فهو لا يقدم

براهين وأدلة منطقية، ولا يقوم على مبادئ الاستنتاج المنطقي[1]. فلفظة "الحجاج" لا تعني البرهنة على صدق إثبات ما، أو إظهار الطابع الصحيح (Valide) لاستدلال ما من وجهة نظرا منطقية. ويمكن التمثيل لكل من البرهنة والحجاج بالمثالين التاليين:

- كل اللغويين علماء.
  زيد لغوي
  إذن زيد عالم

- انخفض ميزان الحرارة
  إذن سينزل المطر.

يتعلق الأمر في المثال الأول ببرهنة أو بقياس منطقي ( Syllogisme )، أما في المثال الثاني، فإنه لا يعدو أن يكون حجاجا أو استدلالا طبيعيا غير برهاني.

واستنتاج أن زيدا عالم، في المثال الأول حتمي وضروري لأسباب منطقية، أما استنتاج احتمال نزول المطر في المثال الآخر فهو يقوم على معرفة العالم، وعلى معنى الشطر الأول من الجملة، وهو استنتاج احتمالي.

لقد انبثقت نظرية الحجاج في اللغة من داخل نظرية الأفعال اللغوية التي وضع أسسها أوستين وسورل، وقد قام ديكرو بتطوير أفكار وآراء أوستين بالخصوص، واقترح، في هذا الإطار، إضافة فعلين لغويين هما فعل الاقتضاء وفعل الحجاج. وبما أن نظرية الفعل اللغوي عند اوستين وسورل

قد واجهتها صعوبات عديدة ( عدم كفاية التصنيفات المقترحة للأفعال اللغوية مثلا )، فقد قام ديكرو بإعادة تعريف مفهوم التكليم أو الانجـاز ( L'illocutoire )، مع التشبث دائما بفكرة الطابع العرفي ( conventionnel ) للغة. وهو يعرفه بأنه فعل لغوي موجه إلى إحداث تحويلات ذات طبيعة قانونية، أي مجموعة من الحقوق والواجبات. ففعل الحجاج يفرض على المخاطب نمطا معينا من النتائج باعتباره الاتجاه الوحيد الذي يمكن أن يسير فيه الحوار. والقيمة الحجاجية لقول ما هي نوع من الإلزام يتعلق بالطريقة التي ينبغي أن يسلكها الخطاب بخصوص تناميه واستمراره[2].

ونشير بهذا الخصوص إلى أن فكرة القيمة القانونية- التي تقدم قولا ما باعتباره له سلطة معينة- مرتبطة، بشكل وثيق جدا، بالفرضية التي ترى أن معنى القول هو وصف لقوليته. ولذلك فإن العلاقات الشرعية القانونية ( الحقوق والواجبات ) محصورة في المجال الخطابي الذي يتموقع فيه المتكلم والمخاطب.

إن الحجاج هو تقديم الحجج والأدلة المؤدية إلى نتيجة معينة، وهو يتمثل في إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب، وبعبارة أخرى، يتمثل الحجاج في إنجاز متواليات من الأقوال، بعضها هو بمثابة الحجج اللغوية، وبعضها الآخر هو بمثابة النتائج التي تستنتج منها. إن كون اللغة لها وظيفة حجاجية يعني أن التسلسلات الخطابية محددة، لا بواسطة الوقائع ( Les faits ) المعبر عنها داخل الأقوال فقط، ولكنها

محددة أيضا وأساسا بواسطة بنية هذه الأقوال نفسها، وبواسطة المواد اللغوية التي تم توظيفها وتشغيلها.

ومن هنا وجب التمييز بين الاستدلال Raisonnement والحجاج Argumentation لأنهما ينتميان إلى نظامين جد مختلفين، نظام ما نسميه عادة ب "المنطق". ونظام الخطاب. إن استدلالا ما (القياس الحملي أو الشرطي مثلا) لا يشكل خطابا بالمعنى القوي الذي يعطيه ديكرو لهذا المصطلح.

فالأقوال التي يتكون منها استدلال ما، مستقلة، بعضها عن بعض، بحيث أن كل قول منها يعبر عن قضية ما، أي يصف حالة ما، أو وضعا، من أوضاع العالم، باعتباره وضعا واقعيا أو متخيلا. ولهذا فإن تسلسل الأقوال في الاستدلال ليس مؤسسا على الأقوال نفسها، ولكنه مؤسس على القضايا المتضمنة فيها، أي على ما تقوله أو تفترضه بشأن العالم[3].

أما الحجاج فهو مؤسس على بنية الأقوال اللغوية، وعلى تسلسلها واشتغالها داخل الخطاب.

ونوضح هذا بالأمثلة التالية:

- أنا متعب، إذن أنا بحاجة إلى الراحة.
- الجو جميل، لنذهب إلى النزهة.
- الساعة تشير إلى الثامنة، لنسرع.
- عليك أن تجتهد لتنجح.

إذا نظرنا في هذه الجمل، فسنجد أنها تتكون من حجج ونتائج، والحجة يتم تقديمها لتؤدي إلى نتيجة معينة. فالتعب، مثلا، في الجملة الأولى، يستدعي الراحة ويقنع النفس أو الغير بضرورتها. فالتعب دليل وحجة على أن الشخص المعني بالأمر بحاجة إلى أن يرتاح ويستريح، ونقول الشيء نفسه عن الأمثلة الأخرى، فجمال الجو يدعو ويدفع إلى التنزه، ويعتمده المتكلم لإقناع مخاطبه بضرورة الخروج إلى التنزه، أو بالذهاب إلى شاطئ البحر أو إلى حديقة عمومية للتجول فيها من أجل الترويح عن النفس والاستمتاع بجمال الطبيعة. فالمتكلم يقدم هذا العنصر باعتباره حجة ودليلا لصالح النتيجة المقصودة.

ونشير إلى أن مفاهيم الحجة والنتيجة كانت، في التصور السابق الذي نجده عنده ديكرو، وخاصة في كتابه "السلميات الحجاجية" عبارة عن أقوال، أما في التصور الذي نجده في أعماله الأخيرة، فإن هذه المفاهيم أعطيت لها دلالة واسعة ومجردة، فالحجة، حسب هذا التصور الجديد، عبارة عن عنصر دلالي يقدمه المتكلم لصالح عنصر دلالي آخر، والحجة قد ترد في هذا الإطار على شكل قول أو فقرة أو نص، أو قد تكون مشهدا طبيعيا أو سلوكا غير لفظي إلى غير ذلك.

والحجة قد تكون ظاهرة أو مضمرة بحسب السياق، والشيء نفسه بالنسبة للنتيجة والرابط الحجاجي الذي يربط بينهما. ويمكن أن نبين هذا على الشكل التالي :

- أنا متعب، إذن أنا بحاجة إلى الراحة.
- أنا متعب، أنا بحاجة إلى الراحة.
- أنا متعب.
- أنا بحاجة إلى الراحة.

فإذا قارنا بين هذه الأقوال، فسنجد أنه تم التصريح بالحجة والرابط والنتيجة في المثال الأول، وتم التصريح بالحجة والنتيجة وأضمر الرابط في المثال الثاني. أما المثال الثالث فلم يصرح فيه إلا بالحجة، والنتيجة مضمرة يتم استنتاجها من السياق، ونجد عكس ذلك في المثال الرابع، حيث ذكرت النتيجة وأضمرت الحجة. وتتسم الحجج اللغوية بعده سمات، نذكر بعضها على سبيل التمثيل لا الحصر:

أ - **إنها سياقية**: فالعنصر الدلالي الذي يقدمه المتكلم باعتباره يؤدي إلى عنصر دلالي آخر، فإن السياق هو الذي يصيره حجة، وهو الذي يمنحه طبيعته الحجاجية، ثم إن العبارة الواحدة، قد تكون حجة أو نتيجة، أو قد تكون غير ذلك بحسب السياق.

ب - **إنها نسبية**: فلكل حجة قوة حجاجية معينة، فقد يقدم المتكلم حجة ما لصالح نتيجة معينة، ويقدم خصمه حجة مضادة أقوى بكثير منها، وبعبارة أخرى هناك الحجج القوية والحجج الضعيفة والحجج الأوهى

والأضعف.

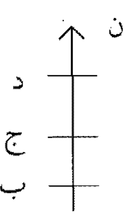
**ج – إنها قابلة للإبطال**: وعلى العموم، فإن الحجاج اللغوي نسبي ومرن وتدريجي وسياقي بخلاف البرهان المنطقي والرياضي الذي هو مطلق وحتمي.

والعلاقة التي تربط بين الحجة والنتيجة هي التي تدعى "العلاقة الحجاجية"، وهي تختلف، بشكل جذري عن علاقة الاستلزام أو الاستنتاج المنطقي. ويمكن أن نرمز لها على الشكل التالي:

ح ——— ن

**2 – السلم الحجاجي**:

السلم الحجاجي هو علاقة ترتيبية للحجج يمكن أن نرمز لها كالتالي:




ن = النتيجة

"ب" و "ج" و"د" : حجج وأدلة تخدم النتيجة "ن".

فعندما تقوم بين الحجج المنتمية إلى فئة حجاجية

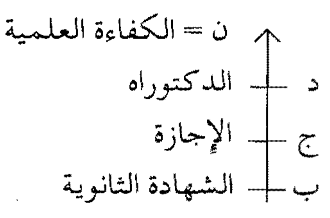
ما، علاقة ترتيبية معينة، فإن هذه الحجج تنتمي إذاك إلى نفس السلم الحجاجي فالسلم الحجاجي[4] هو فئة حجاجية موجهة. ويتسم السلم الحجاجي بالسمتين الآتيتين :

أ- كل قول يرد في درجة ما من السلم، يكون القول الذي يعلوه دليلا أقوى منه بالنسبة ل "ن".

ب- إذا كان القول "ب" يؤدي إلى النتيجة "ن"، فهذا يستلزم أن "ج" أو "د" الذي يعلوه درجة يؤدي إليها، والعكس غير صحيح، فإذا أخذنا الأقوال الآتية :

**1** - حصل زيد على الشهادة الثانوية.
**2** - حصل زيد على شهادة الإجازة.
**3** - حصل زيد على شهادة الدكتوراه.

فهذه الجمل تتضمن حججا تنتمي إلى نفس الفئة الحجاجية، وتنتمي كذلك إلى نفس السلم الحجاجي، فكلها تؤدي إلى نتيجة مضمرة، من قبيل "كفاءة زيد" أو "مكانته العلمية". ولكن القول الأخير هو الذي سيرد في أعلى درجات السلم الحجاجي، وحصول زيد على الدكتوراه هو بالتالي أقوى دليل على مقدرة زيد وعلى مكانته العلمية. ويمكن الترميز لهذا السلم كما يلي :



## قوانين السلم الحجاجي :

وأهم هذه القوانين ثلاثة :

**1 - قانون النفي** : إذا كان قول ما "أ" مستخدما من قبل متكلم ما ليخدم نتيجة معينة، فإن نفيه (أي~أ) سيكون حجة لصالح النتيجة المضادة[5] وبعبارة أخرى، فإذا كان "أ" ينتمي إلى الفئة الحجاجية المحددة بواسطة "ن"، فإن "~أ" ينتمي إلى الفئة الحجاجية المحددة بواسطة "لا–ن". ويمكن أن نمثل لهذا بالمثالين التاليين:

- زيد مجتهد، لقد نجح في الامتحان
- زيد ليس مجتهدا، إنه لم ينجح في الامتحان.

فإن قبلنا الحجاج الوارد في المثال الأول، وجب أن نقبل كذلك الحجاج الوارد في المثال الثاني.

**2 - قانون القلب** : يرتبط هذا القانون أيضا بالنفي، ويعد تتميما للقانون. ومفاد هذا القانون، أن السلم الحجاجي للأقوال المنفية هو عكس سلم الأقوال الاثباتية، وبعبارة أخرى، إذا كان ('أ) أقوى من (أ) بالقياس إلى النتيجة "ن"، فإن (~'أ) هو أقوى من (~أ) بالقياس إلى "لا–ن". ويمكن التعبير عن هذه الفكرة بصيغة أخرى فنقول : إذا كانت إحدى الحجتين أقوى من الأخرى في التدليل على نتيجة معينة، فإن نقيض الحجة الثانية أقوى من نقيض الحجة الأولى في التدليل على النتيجة المضادة. ويمكن أن نرمز لهذا بواسطة السلمين الحجاجيين

التالين[6] :

| | |
|---|---|
| ن | لا~ن |
| أ' | ~أ |
| أ | ~أ' |

ولنوضح هذا بالمثالين التاليين:

- حصل زيد على الماجستير، وحتى الدكتوراه
- لم يحصل زيد على الدكتوراه، بل لم يحصل على الماجستير.

فحصول زيد على الدكتوراه أقوى دليل على مكانته العلمية من حصوله على الماجيستير في حين أن عدم حصوله على الماجستير هو الحجة الأقوى على عدم كفاءته من عدم حصوله على شهادة الدكتوراه.

وهذا يفسر لنا أيضا لحن الجملتين التاليتين، أو شذوذهما وغرابتهما على الأقل:

- * حصل زيد على الدكتوراه، بل حصل على الماجستير
- * لم يحصل زيد على الماجستير، بل لم يحصل على الدكتوراه.

3 - **قانون الخفض**: يوضح قانون الخفض (Loi d'abaissement) الفكرة التي ترى أن النفي اللغوي الوصفي يكون مساويا للعبارة : "moins que" فعندما نستعمل جملا من قبيل :

- الجو ليس باردا.
- لم يحضر كثير من الأصدقاء إلى الحفل.

فنحن نستبعد التأويلات التي ترى أن البرد قارس وشديد (المثال الثاني). أو أن الأصدقاء كلهم حضروا إلى الحفل (المثال الثاني). وسيؤول القول الأول على الشكل التالي :

- إذا لم يكن الجو باردا، فهو دافئ أو حار.

وسيؤول القول الثاني كما يلي :

- لم يحضر إلا القليل منهم إلى الحفل

وتتجلى صعوبة صياغة هذه الوقائع، في أن الخفض الذي ينتج عن النفي لا يتموقع في السلم الحجاجي، ولا يتموقع أيضا في سلمية تدرجية موضوعية يمكن تعريفها بواسطة معايير فيزيائية. فلا تندرج الأقوال الإثباتية (من نمط "الجو بارد") والأقوال المنفية (من نمط "الجو ليس باردا") في نفس ال فئة الحجاجية ولا في نفس السلم الحجاجي. ومع ذلك فقد اقترح أحمد المناطقة المعاصرين

صياغة تقريبية لهذا القانون نوردها كما يلي: "إذا صدق القول في مراتب معينة من السلم، فإن نقيضه يصدق في المراتب التي تقع تحتها"[7].

ويرتبط بمفهوم السلم الحجاجي مفهوم آخر هو مفهوم الوجهة أو الاتجاه الحجاجي ( L'orientation argumentative ) ويعني هذا المفهوم أنه إذا كان قول ما يمكن من إنشاء فعل حجاجي، فإن القيمة الحجاجية لهذا القول يتم تحديدها بواسطة الاتجاه الحجاجي، وهذا الأخير قد يكون صريحا أو مضمرا، فإذا كان القول أو الخطاب معلما ( marqué )، أي مشتملا على بعض الروابط والعوامل الحجاجية، فإن هذه الأدوات والروابط تكون متضمنة لمجموعة من الإشارات والتعليمات ( instructions ) التي تتعلق بالطريقة التي يتم بها توجيه القول أو الخطاب. أما في حالة كون القول غير معلم، فإن التعليمات المحددة للاتجاه الحجاجي تستنتج إذاك من الألفاظ والمفردات بالإضافة إلى السياق التداولي والخطابي العام.

## 3 - الروابط والعوامل الحجاجية :

لما كانت للغة وظيفة حجاجية، وكانت التسلسلات الخطابية محددة بواسطة بنية الأقوال اللغوية وبواسطة العناصر والمواد التي تم تشغيلها، فقد اشتملت اللغات الطبيعية على مؤشرات لغوية خاصة بالحجاج. فاللغة العربية، مثلا، تشتمل على عدد كبير من الروابط والعوامل الحجاجية التي لا يمكن تعريفها إلا بالإحالة على قيمتها الحجاجية، نذكر من هذه الأدوات : لكن، بل، إذن، حتى، لاسيما، إذ، لأن، بما أن، مع ذلك، ربما، تقريبا، إنما، ما ... إلا ... إلخ.

إن هذه الأدوات هي التي دفعت ديكرو وأنسكومبر إلى رفض نموذج شارل موريس والدفاع عن فرضية التداوليات المندمجة ( La pragmatique intégrée ). وترتبط القيمة الحجاجية لقول ما بالنتيجة التي يمكن أن يؤدي إليها، أي بتتمته الممكنة والمحتملة، ولا ترتبط بتاتا بالمعلومات التي يتضمنها.

لقد اقترح ديكرو وصفا حجاجيا جديدا لهذه الروابط والأدوات باعتباره بديلا للوصف التقليدي. فإذا كان هذا الأخير يصف الأداة "puisque" بأنها تشير إلى أن "ب" يستلزم "أ" فقط، ويصف "Mais" بأنها تشير إلى التعارض القائم بين القضايا التي تربط بينها، فإن الوصف الحجاجي لهذين الرابطين هو كالتالي: يسلم المخاطب ب "ب"، وبالإحالة على استلزام "ب" ل "أ"، فإن عليه أن يقبل "أ"

وبالنسبة ل "لكن / Mais" تميل إلى أن تستنتج من "أ" نتيجة ما، لا ينبغي القيام بذلك، لأن "ب"، وهي صحيحة مثل "أ"، تقترح النتيجة المضادة". أما بالنسبة ل "حتى Même" فليس دورها منحصرا في أن تضيف إلى المعلومة (جاء زيد) في القول (حتى زيد جاء) معلومة أخرى (مجيء زيد غير متوقع)، بل إن دور هذا الرابط يتمثل في إدراج حجة جديدة، أقوى من الحجة المذكورة قبله، والحجتان تخدمان نتيجة واحدة لكن بدرجات متفاوتة من حيث القوة الحجاجية[8].

وينبغي أن نميز بين صنفين من المؤشرات والأدوات الحجاجية: الروابط الحجاجية( Les connecteurs ) والعوامل الحجاجية ( Les opérateurs ) فالروابط تربط بين قولين، أو بين حجتين على الأصح (أو أكثر)، وتسند لكل قول دورا محددا داخل الإستراتيجية الحجاجية العامة. ويمكن التمثيل للروابط بالأدوات التالية: بل، لكن، حتى، لاسيما، إذن، لأن، بما أن، إذ... إلخ.

أما العوامل الحجاجية، فهي لا تربط بين متغيرات حجاجية (أي بين حجة ونتيجة أو بين مجموعة حجج)، ولكنها تقوم بحصر وتقييد الإمكانات الحجاجية التي تكون لقول ما. وتضم مقولة العوامل أدوات من قبيل: ربما، تقريبا، كاد، قليلا، كثيرا، ما... إلا، وجل أدوات القصر.

## 3 - الروابط والعوامل الحجاجية :

لما كانت للغة وظيفة حجاجية، وكانت التسلسلات الخطابية محددة بواسطة بنية الأقوال اللغوية وبواسطة العناصر والمواد التي تم تشغيلها، فقد اشتملت اللغات الطبيعية على مؤشرات لغوية خاصة بالحجاج. فاللغة العربية، مثلا، تشتمل على عدد كبير من الروابط والعوامل الحجاجية التي لا يمكن تعريفها إلا بالإحالة على قيمتها الحجاجية، نذكر من هذه الأدوات : لكن، بل، إذن، حتى، لاسيما، إذ، لأن، بما أن، مع ذلك، ربما، تقريبا، إنما، ما ... إلا ... إلخ.

إن هذه الأدوات هي التي دفعت ديكرو وأنسكومبر إلى رفض نموذج شارل موريس والدفاع عن فرضية التداوليات المندمجة ( La pragmatique intégrée ). وترتبط القيمة الحجاجية لقول ما بالنتيجة التي يمكن أن يؤدي إليها، أي بتتمته الممكنة والمحتملة، ولا ترتبط بتاتا بالمعلومات التي يتضمنها.

لقد اقترح ديكرو وصفا حجاجيا جديدا لهذه الروابط والأدوات باعتباره بديلا للوصف التقليدي. فإذا كان هذا الأخير يصف الأداة "puisque" بأنها تشير إلى أن "ب" يستلزم "أ" فقط، ويصف "Mais" بأنها تشير إلى التعارض القائم بين القضايا التي تربط بينها، فإن الوصف الحجاجي لهذين الرابطين هو كالتالي: يسلم المخاطب ب "ب"، وبالإحالة على استلزام "ب" ل "أ"، فإن عليه أن يقبل "أ"

وبالنسبة ل "لكن / Mais" تميل إلى أن تستنتج من "أ" نتيجة ما، لا ينبغي القيام بذلك، لأن "ب"، وهي صحيحة مثل "أ"، تقترح النتيجة المضادة". أما بالنسبة ل "حتى Même" فليس دورها منحصرا في أن تضيف إلى المعلومة (جاء زيد) في القول (حتى زيد جاء) معلومة أخرى (مجيء زيد غير متوقع)، بل إن دور هذا الرابط يتمثل في إدراج حجة جديدة، أقوى من الحجة المذكورة قبله، والحجتان تخدمان نتيجة واحدة لكن بدرجات متفاوتة من حيث القوة الحجاجية[8].

وينبغي أن نميز بين صنفين من المؤشرات والأدوات الحجاجية: الروابط الحجاجية (Les connecteurs) والعوامل الحجاجية (Les opérateurs) فالروابط تربط بين قولين، أو بين حجتين على الأصح (أو أكثر)، وتسند لكل قول دورا محددا داخل الإستراتيجية الحجاجية العامة. ويمكن التمثيل للروابط بالأدوات التالية: بل، لكن، حتى، لاسيما، إذن، لأن، بما أن، إذ... إلخ.

أما العوامل الحجاجية، فهي لا تربط بين متغيرات حجاجية (أي بين حجة ونتيجة أو بين مجموعة حجج)، ولكنها تقوم بحصر وتقييد الإمكانات الحجاجية التي تكون لقول ما. وتضم مقولة العوامل أدوات من قبيل: ربما، تقريبا، كاد، قليلا، كثيرا، ما... إلا، وجل أدوات القصر.

وقد أدرج ديكرو مفهوم العامل الحجاجي، لأول مرة في مقاله المعنون ب : "Note sur l'argumentation et l'acte d'argumenter" المنشور سنة 1982، ثم فصل فيه القول بعد ذلك في مقاله المنشور سنة 1983، والذي يحمل عنوان : "opérateurs argumentatifs et visée argumentative".

ولنوضح مفهوم العامل الحجاجي بشكل أكثر، ندرس المثالين الآتيين :

- الساعة تشير إلى الثامنة.
- لا تشير الساعة إلا إلى الثامنة.

فعندما أدخلنا على المثال الأول أداة القصر "لا . . . إلا"، وهي عامل حجاجي، لم ينتج عن ذلك أي اختلاف بين المثالين بخصوص القيمة الإخبارية أو المحتوى الإعلامي، ولكن الذي تأثر بهذا التعديل هو القيمة الحجاجية للقول، أي الإمكانات الحجاجية التي يتيحها. فإذا أخذنا القولين التاليين :

- الساعة تشير إلى الثامنة، أسرع.

؟- لا تشير الساعة إلا إلى الثامنة، أسرع.

فسنلاحظ أن القول الأول سليم ومقبول تماما، أما القول الثاني فيبدو غريبا، ويتطلب سياقا خاصا وأكثر تعقيدا حتى نستطيع تأويله، وبعبارة أخرى، فهو يتطلب مسارا تأويليا مختلفا.

وإذا عدنا إلى المثال السابق ( الساعة تشير إلى الثامنة ) . فسنجد أن له إمكانات حجاجية كثيرة، فقد يخدم هذا القول نتائج من قبيل : الدعوة إلى الإسراع، التأخر والاستبطاء، هناك متسع من الوقت، موعد الأخبار . . . إلخ وبعبارة أخرى، فهو يخدم نتيجة من قبيل: "أسرع" ، كما يخدم النتيجة المضادة لها : "لا تسرع" ، لكن عندما أدخلنا عليه العامل الحجاجي : "لا . . . إلا" ، فإن إمكاناته الحجاجية تقلصت، وأصبح الاستنتاج العادي والممكن هو :

"لا تشير الساعة إلا إلى الثامنة، لا داعي للإسراع" .

أما الرابط الحجاجي ( حروف العطف، الظروف . . . ) فهو يربط بين وحدتين دلاليتين (أو أكثر)، في إطار إستراتيجية حجاجية واحدة، وهذا في إطار الصيغة الجديدة للنظرية الحجاجية، أما في التصور السابق، فقد كنا نقول إنه يربط بين قولين( أو أكثر)، وقد تم التخلي عن هذا التصور لأن ظاهرة الربط معقدة، ولأن الربط بين الأقوال ليس إلا حالة خاصة، فقد يربط الرابط بين قولين، وقد يربط بين عناصر غير متجانسة، كأن يربط مثلا بين قول وقولية (Une énonciation)، أو بين قول وسلوك غير كلامي، إلى غير ذلك من الحالات الممكنة .

فإذا أخذنا المثال التالي :

— زيد مجتهد، إذن سينجح في الامتحان.

فسنجد أنه يشتمل على حجة هي ( زيد مجتهد ) ونتيجة مستنتجة منها ( سينجح )، وهناك الرابط ( إذن ) الذي يربط بينهما.

ونميز بين أنماط عديدة من الروابط :

أ – الروابط المدرجة للحجج ( حتى، بل، لكن، مع ذلك، لأن . . . ) والروابط المدرجة للنتائج : ( إذن، لهذا، وبالتالي . . . )

ب – الروابط التي تدرج حججا قوية ( حتى، بل، لكن، لاسيما . . . )

والروابط التي تدرج حججا ضعيفة.

ج – روابط التعارض الحجاجي (بل، لكن، مع ذلك . . . ) وروابط التساوق الحجاجي ( حتى، لاسيما . . . ).

## 4 - المبادئ الحجاجية :

وجود الروابط والعوامل الحجاجية لا يكفي لضمان سلامة العملية الحجاجية، ولا يكفي أيضا لقيام العلاقة الحجاجية، بل لابد من ضامن يضمن الربط بين الحجة والنتيجة، بل لابد من ضامن يضمن الربط بين الحجة والنتيجة، هذا الضامن هو ما يعرف بالمبادئ الحجاجية ( Les topoî )، وهي تقابل مسلمات الاستنتاج المنطقي في المنطق الصوري أو الرياضي، هذه المبادئ هي قواعد عامة تجعل حجاجا خاصا ما ممكنا، ولها خصائص عديدة، نذكر منها ما يلي :[9].

أ- إنها مجموعة من المعتقدات والأفكار المشتركة بين الأفراد داخل مجموعة بشرية معينة.

ب- **العمومية** : فهي تصلح لعدد كبير من السياقات المختلفة والمتنوعة.

ج- **التدرجية** ( La graduali té ) : إنها تقيم علاقة بين محمولين تدرجيين أو بين سلمين حجاجيين ( العمل- النجاح ) مثلا.

د- **النسبية** : فإلى جانب السياقات التي يتم فيها تشغيل مبدأ حجاجي ما، هناك إمكان إبطاله ورفض تطبيقه باعتباره غير وارد وغير ملائم للسياق المقصود، أو يتم إبطاله باعتماد مبدأ حجاجي آخر مناقض له. فالعمل يؤدي إلى النجاح، ولكنه قد يؤدي إلى الفشل في سياق آخر إذا زاد عن الحد المطلوب، وإذا نظر إليه على أنه تعب

وإرهاق وإهدار للطاقة.

وإذا نظرنا في المثالين التاليين:

– أنا متعب، إذن أنا بحاجة إلى الراحة.

– سينجح زيد لأنه مجتهد.

فسنقول إن المبدأ الحجاجي (topos) الموظف في الجملة الأولى هو:– بقدر تعب الإنسان، تكون حاجته إلى الراحة.

ويمكن أن يصاغ هذا المبدأ صياغات تعبيرية أخرى:

– كلما كان الإنسان متعبا، كان بحاجة إلى الراحة.

– يكون الإنسان بحاجة إلى الراحة، بمقدار ما يكون متعبا.

ونشير إلى أن اللغوي السويسري آلان براندوني (A. Berrendonner) صاغ هذه المبادئ صياغة استلزامية على الشكل التالي: "إذا أن فإن ب"[10]، لكن ديكرو انتقد هذه الصياغة، واقترح صياغة أخرى ذات طابع تدرجي، وذلك باعتماد قيمتي "زيد" (+) و"ناقص" (–)، بحيث عبر عنها بهذا الشكل:

(±) il fait beau, (±) la promenade est agréable

ونحن ترجمناها على النحو التالي:

– بقدر ما يكون الجو جميلا، تكون النزهة

محبذة.

ويشتمل المثال الآخر على مبدأ حجاجي من قبيل: (الاجتهاد يؤدي إلى النجاح) أو (تكون فرص نجاح الإنسان بقدر عمله واجتهاده).

إذن فالمبادئ الحجاجية هي مجموعة من المسلمات والأفكار والمعتقدات المشتركة بين أفراد مجموعة لغوية وبشرية معينة، والكل يسلم بصدقها وصحتها، فالكل يعتقد أن العمل يؤدي إلى النجاح، وأن التعب يستدعي الراحة، وأن الصدق والكرم والشجاعة من القيم النبيلة والمحببة لدى الجميع، والتي تجعل المتصف بها في أعلى المراتب الاجتماعية، والكل يقبل أيضا أن انخفاض ميزان الحرارة يجعل سقوط المطر محتملا، وبعض هذه المبادئ يرتبط بمجال القيم والأخلاق، وبعضها الآخر يرتبط بالطبيعة ومعرفة العالم.

وإذا كانت المبادئ الحجاجية ترتبط بالاديولوجيات الجماعية، فإنه من الممكن أن ينطلق استدلالان من نفس المقدمات، وأن يعتمدا نفس الروابط والعوامل، ومع ذلك يصلان إلى نتائج مختلفة، بل متضادة. ولن يفسر هذا إلا باعتماد مبادئ حجاجية تنتمي إلى إديولوجيات متعارضة، لكن إلى جانب هذه المبادئ المحلية( topoî locaux ) المرتبطة بإديولوجيات الأفراد داخل المجموعة البشرية الواحدة، هناك مبادئ أخرى أعم، وهي مشتركة بين جميع أفراد المجموعة اللغوية، ومؤشر لها داخل اللغة.

# 5 – نحو دلاليات حجاجية :

## 5-1- الحجاج والنظريات الدلالية :

تتعارض نظرية الحجاج في اللغة مع بعض النظريات أو الاتجاهات السائدة في الدلالة من أهمها :

أ- **التيار الوصفي** ( Descriptivisme ) : ويذهب متبنو هذا الاتجاه أو هذا الموقف إلى أن كل قول إثباتي هو تمثيل ووصف للواقع، وغالبا ما يستعملون مصطلحات ومفاهيم ذات أساس صدقي ( Véricondіtionnel )، وتتمثل الفرضية الأساسية لهؤلاء الوصفيين من أمثال P. T. Geach، في اعتبار المعنى الوصفي ( التمثيلي، الصدقي . . . ) معنى أولا، واعتبار المعنى الإنجازي والتكليمي معنى ثانويا وهامشيا.

وتتمثل الصورة القصوى لهذا التصور فيما يعرف ب "الدلالة المنطقية" أو "الدلالة الصورية"، التي ترى أن دلاليات اللغة الطبيعية ينبغي أن تتضمن مفهوم "الصدق" "Vérité" . ومن رواد هذا الإتجاه نذكر ألفرد تارسكي A. Tarski ولويس D. Lewis ونجد هذا التصور أيضا في كثير من النظريات اللغوية : اللسانيات الديكارتية، نحو بورويال، فلسفة اللغة العادية ( وخاصة أعمال سورل )، الفرضية الإنجازية، . . . إلخ.

ب- **التيار اللاوصفي** ( L'ascriptivisme ) : ويرى أصحاب هذا الاتجاه أن عددا كبيرا من الأقوال الإثباتية

الإخبارية ليست إثباتات حقيقية، وأنها تمكن من إنجاز أفعال لغوية. ويمكن أن نورد من هذه الأقوال ما يلي:

- زيد إنسان طيب.
- هذا الفندق ممتاز.
- هذا الفعل إرادي.

فهذه النظرية تعتبر أن صفات من قبيل: "طيب"، "ممتاز"، "جميل"، "إرادي"... إلخ لا تتضمن أي خاصية، إنما هي ألفاظ تصلح أساسا لتحقيق وإنجاز أفعال لغوية. وهكذا فإن التلفظ بالعبارة: "زيد إنسان طيب" معناه إنجاز فعل التزكية بخصوص زيد[11].

ولإعادة صياغة الموقف اللاوصفي داخل النظرية الحجاجية، نقول إن التلفظ بالمثال (زيد إنسان طيب) معناه تقديم حجة لصالح نتيجة معينة من قبيل: "هو الشخص المناسب" أو "يمكن اتخاذه صديقا" أو "ينبغي اختياره" إلى غير ذلك من النتائج الممكنة، والدليل على ذلك هو أننا ونحن عاجزون عن تحديد "الطيبوبة" وتعيين طبيعتها وخصائصها وما الذي نقصده بهذه الكلمة – نعرف جيدا كيف نستعمل عبارات من هذا القبيل، ونعرف بالتالي النتائج التي يمكن أن تؤدي إليها، والنتائج التي لا تنسجم معها. وبعبارة أخرى، يمكن أن نقول:

- زيد إنسان طيب، يمكن أن نتخذه صديقا.
- زيد إنسان طيب، يمكن الاعتماد عليه.

ولا يمكن أن نقول :

* - زيد إنسان طيب، لا يمكن اتخاذه صديقا.

ويذهب ديكرو إلى أن ثلاثة أرباع كلمات اللغة العادية لها هذا الوضع: لا نعرف بتاتا معناها ودلالتها، ولكننا نستعملها بشكل جيد، ونعرف وجهتها الحجاجية.

ونشير إلى أن التصور الذي نجده عند أوستين للغة قريب من الموقف اللاوصفي، وخاصة عندما يتحدث عن "الخداع الوصفي" ( l'illusion descriptive ).

ج- **الحجاجية الضعيفة** : نجد هذا التصور عند بعض اللسانيين من أمثال جيل فوكونيي ( G.Fauconnier ) وهنين نولكه ( H.Nolke ) بنوادوكورنوليي ( B.de Cornulier ) وروبير مارتان ( R.Martin ) وغيرهم.[12] ويتعلق الأمر هنا بمعالجة لسانية للحجاج مثلما هو الشأن عند أصحاب الحجاجية القوية ( ديكرو، أنسكومبر، ... ). لكن هؤلاء اللغويين يرفضون إدراج الحجاج ضمن ميكانزمات اللغة ويرفضون اعتباره من الأوليات اللغوية والدلالية، فجيل فوكونيي، مثلا يرفض اعتبار مفهوم السلم الحجاجي الذي اقترحه ديكرو من العناصر الأولية ( un primitif ) في النظرية الدلالية، وبالنسبة إليه، لا مجال لاستدعاء هذا المفهوم لتفسير التوزيعات الدلالية والنحوية لعدد كبير من الظواهر اللغوية مثل التسوير والاستقطاب ( polarité ) وغيرهما. ونجد نفس الموقف عند لغوي آخر هو روبير

مارتان الذي يقلل من دور المؤشرات الحجاجية مفترضا أنها ليست إلا رموزا وعلامات للحجج.

## 5 - 2 - المعنى الحجاجي والمعنى الإخباري:

قبل التمييز بين هذين النمطين من المعنى، نشير إلى أن اللغويين قد خصصوا بحوثا ودراسات عديدة للمعنى، وحاولوا تحديد طبيعته ومجاله، وطرحوا أسئلة عديدة في هذا السياق من قبيل؟ ما هو المعنى؟ وما هي طبيعته؟ وما مجاله؟ وهل هناك نمط واحد من المعنى أم هناك أنماط عديدة؟ وما خصائص كل نمط؟ وكان أن توصلوا إلى التمييز بين أنماط عديدة من المعنى الظاهر نذكر منها المعنى الحرفي، المعنى البنيوي، المعنى المعجمي، المحتوى القضوي، المحتوى الإخباري الإعلامي... إلخ وأنماط من المعنى الضمني مثل: الاقتضاء، الاستلزام الدلالي، التضمين، الاستلزام الحواري، القيمة الحجاجية أو المعنى الحجاجي. وإذا كان العديد من اللغويين والفلاسفة والمناطقة منذ أفلاطون وحتى النماذج اللسانية المعاصرة يعتبرون أن وظيفة اللغة الأساسية هي الإخبار ووصف العالم، وكانت اللغة بالنسبة إليهم مجرد شفرة أو نظام من الرموز، وكانوا يرون أن الجانب الإخباري الوصفي من المعنى هو الأساسي وأن المعاني الأخرى ثانوية وهامشية، فقد كانت هناك محاولات، منذ القديم تسعى، للتقليل من أهمية المكون الإخباري في المعنى، وتحاول أن تبين أن جزءا يسيرا جدا من أقوال وجمل اللغات الطبيعية

له طبيعة وصفية تمثيلية.

والنظرية الحجاجية تندرج، بالطبع، ضمن هذه المحاولات، أو ضمن ما يمكن تسميته ب "الدلاليات غير الإعلامية أو غير الإخبارية" La Sémantique non informationnelle التي تعتبر المحتوى الإخباري أو المضمون الوقائعي ( factuel ) ثانويا بالقياس إلى المكونات الدلالية الأخرى. وهذا التيار له أصول قديمة في تاريخ اللسانيات. ويمكن أن نذكر من بين ممثليه: البلاغة العربية القديمة (الخبر والإنشاء)، اللسانيات الديكارتية، الأنحاء التقليدية الأوروبية ( modus/dictum )، فلسفة اللغة عند أوستين، نظرية الأفعال اللغوية... إلخ.

وإذا كانت النظرية الحجاجية تعتبر المكونات والظواهر الحجاجية أساسية وجوهرية، فإن هذا يستلزم أنها تنظر إلى القيمة الإخبارية للقول (أي ما يقوله عن العالم) باعتبارها مكونا ثانويا، بل تابعا للمكون الحجاجي الدلالي. ولبيان العلاقة القائمة بين المحتوى الإخباري للقول وقيمته الحجاجية، وبيان أهمية المعنى الحجاجي نورد المثال التالي:[13].

- قرأ زيد بعض كتب ابن رشد.
- لم يقرأ عمرو كل كتب ابن رشد.

وإذا كنا نود الحصول على معلومة بخصوص مؤلف من مؤلفات ابن رشد وأجرينا اختبارا على بعض الاشخاص،

فإلى أي شخص ينبغي أن نتوجه؟ هل نتوجه إلى زيد أم إلى عمرو؟ وأيهما القادر على إفادتنا بشكل أكثر؟ إن الجواب الذي يتبادر إلى الذهن منطقيا، وبدون أي تردد، وانطلاقا من المحتوى الإخباري للأقوال، يتمثل في التوجه إلى عمرو، فالشخص الذي نقول عنه "إنه لم يقرأ كل كتب ابن رشد" لابد وأنه قد قرأ مجموعة كبيرة منها. أما الشخص الذي قلنا: "إنه قرأ بعض كتب ابن رشد"، فلا يمكن أن يكون قد قرأ الكثير منها. ويبدو أن هذا يفند، شكليا، ما تدعو إليه النظرية الحجاجية وتحاول البرهنة عليه، فالنسبة لمتبني هذه النظرية، فإن الاختيار ينبغي أن يقع على زيد لا على عمرو. وإذا درسنا المثالين السابقين حجاجيا، فسنجد أن المثال الأول موجه نحو نتيجة إيجابية من نمط (زيد يعرف ابن رشد)، أما المثال الثاني فهو موجه نحو نتيجة سلبية من قبيل: (زيد لا يعرف جيدا ابن رشد).

وفي معرض الجواب عن السؤال: لماذا كان الاختيار يقع على عمرو؟ أو في معرض الرد على هذا الاعتراض والانتقاد الموجه إلى النظرية، يقدم ديكرو أحد الأجوبة الممكنة فيقول: إنه لا ينبغي الخلط بين المعنى الحرفي للقول وقيمته القولية في مقام معين[14]. فإذا تلفظنا بالمثال الثاني (لم يقرأ عمرو كل كتب ابن رشد)، فنحن نفهم السامع أن عمرا قد قرأ مجموعة مهمة من كتب ابن رشد، ولكن ليس انطلاقا مما يقوله القول بنفسه. وإذا كان عمرو قد قرأ كتابا واحدا أو لم يقرأ أي كتاب من كتب ابن رشد،

فإنه يمكن أن نقول عنه إذاك "لم يقرأ عمرو كل كتب ابن رشد". ومعلوم أن الجمل المشتملة على نفي وسور كلي تكون ملتبسة، وتحتمل عدة تأويلات. فالمثال السابق يحتمل تأويلين متساويين على الأقل هما:

- لم يقرأ عمرو أي كتاب من كتب ابن رشد.
- قرأ عمرو بعض كتب ابن رشد.

باعتبار أن السور قد يكون داخل حيز النفي أو يكون خارجه. إذن فهذا المثال لا يقول أي شيء، أي انطلاقا من معناه الحرفي ولا يقدم أي دليل على أن عمرا قارئ لكتب ابن رشد. ولهذا فإن اللساني المقتدر الذكي سيختار زيدا الذي يؤكد المثال الأول أنه قرأ كتابين على الأقل، مع عدم استبعاد أن يكون قد قرأ الكثير من كتب ابن رشد، أو ربما قرأها كلها.

ومع ذلك فإن ديكرو لا يتبنى هذا الجواب لأنه يقوم على التمييز بين معنى القول والقيمة القولية، أي بين الدلالة والتداول، فنظرية الحجاج في اللغة ترفض هذا التمييز، وترى أن معنى القول لا يمكن وصفه بتاتا في استقلال عن المقام والوظيفة القولية، وبعبارة أخرى، فالتداول أو المقام مؤشر له في كل أجزاء المعنى.

لقد قلنا إن المثال الأول موجه نحو نتيجة إيجابية، وإن المثال الثاني يخدم نتيجة سلبية، ولنوضح ذلك، سنتبع كل قول من القولين السابقين بنتيجة ممكنة محتملة على

الشكل التالي :

– قرأ زيد بعض كتب ابن رشد ، فهو قادر إذن على إفادتك .

– قرأ زيد بعض كتب ابن رشد ، وسيمدك بالمعلومة المطلوبة .

فنحن نلاحظ أن هذا المثال متلو بنتائج إيجابية ، ومن هنا كان القولان السابقان سليمان ، ولو أننا أتبعناه بنتيجة سلبية ، لكانت النتيجة لاحنة أو شاذة :

*– قرأ زيد بعض كتب ابن رشد ، إذن هو غير قادر على إفادتك .

*– قرأ زيد بعض كتب ابن رشد ، لن يستطيع إذن إمدادك بالمعلومة المطلوبة .

ونفعل الشيء نفسه بالنسبة للمثال الثاني ، فإذا أتبعناه بنتيجة سلبية ، كان القول سليما وطبيعيا ، كما يظهر لنا من خلال المثالين التاليين :

– لم يقرأ عمرو كل كتب ابن رشد ، فهو غير قادر على إفادتك .

– لم يقرأ عمرو كل كتب ابن رشد ، إذن لن يستطيع إمدادك بالمعلومة المطلوبة .

أما إذا أتبعناه بنتيجة إيجابية، كان الناتج غير سليم وغير مقبول:

*- لم يقرأ عمرو كل كتب ابن رشد، إذن هو قادر على إفادتك.

*- لم يقرأ عمرو كل كتب ابن رشد، إذن يستطيع إمدادك بالمعلومة المطلوبة.

نستنتج من هذا أن تسلسل الأقوال والجمل في الخطاب لا يعتمد المعنى الإخباري أو المحتوى الإعلامي، وإنما يعتمد، بالأساس، المعنى الحجاجي أو القيمة الحجاجية للقول.

وقد لاحظنا كذلك، التعارض القائم، في الأمثلة السابقة، بين المعنى الحجاجي والمعنى الإخباري، وهذا يبين أن المكون الحجاجي أساسي في المعنى وأن المكون الإخباري ثانوي وهامشي.

فالاختبار السابق الذي أجرى على الأشخاص، والذي نجم عنه وقوع الاختيار على عمرو كان مرتكزا على المعلومات والأخبار التي تتضمنها الأقوال في استقلال عن أي خطاب. أما ما تدرسه نظرية الحجاج في اللغة فهو اشتغال الأقوال داخل خطاب ما، أي هو تسلسل الأقوال وتواليها داخل الخطاب بصورة استنتاجية، وبعبارة أخرى إنها تدرس منطق الخطاب[15].

ويمكن أن نأخذ أمثلة أخرى:

- السماء صافية
- البرد قارس.
- الجو جميل.

فعندما يتلفظ متكلم ما بالجملة الأولى (السماء صافية) مثلا، فهل هو يخبر السامع بشيء، أي هل ينقل إليه خبرا جديدا لا يعلمه، إننا نعتقد أن المتكلم والسامع وغيرهما من الأشخاص يعلمون هذا، فالكل قد أدرك هذا، والكل لاحظ أن السماء صافية، والقول الأول إذا استعمل في خطاب ما، أي وظف من قبل متكلم ما في سياق معين، فإنه يفقد طبيعته الإخبارية وإن ظل محتفظا بمحتواه الإعلامي أو القضوي، هذا المحتوى الذي تكون له إذاك وظيفة ثانوية. لكن المكون الدلالي الأساسي في القول والذي سيوجهه وجهة معينة، أي يحدد نمط النتيجة الممكنة، أو نمط القول الذي يمكن أن يتلوه، هو المعنى الحجاجي، وهو الذي سيسمح لنا بإنتاج المتواليات التالية:

السماء صافية، لنخرج إلى النزهة.
السماء صافية، لنتجول قليلا.

فالمتكلم عندما يتلفظ بالمثال الأول، فإنه سيقدمه باعتباره حجة لصالح نتيجة ممكنة من قبيل: "النزهة

محببة" أو "الذهاب إلى الحديقة أو إلى شاطئ البحر" أو غير ذلك.

والشيء نفسه يمكن أن يقال بخصوص المثالين الآخرين. وهذا كله يبين أن المعنى الحجاجي مكون أساسي، وأنه هو الذي يحكم اشتغال الأقوال داخل الخطاب.

وسنحاول الآن أن ندرس أنماطا من العلاقات الموجودة بين المعنى الحجاجي والمعنى الإخباري[16].

**1** - هناك أقوال لا يمكن أن نستنتج قيمتها الحجاجية انطلاقا من محتواها الإخباري. لنفرض أن "ق" قضية لها طابع إثباتي، و"ح" الحدث أو الواقعة الموصوفة داخل "ق". إن التأليف بين "ق" و"ربما"، (أي "ربما ق") يسمح، من وجهة نظر إخبارية إعلامية، بالإمكانيتين: "ح" و"لا-ح". ويمكن أن نبين هذا على الشكل التالي:

"ق" = "ح".
"ربما ق" = "ح" أو "لا-ح"

والفرق بينهما أن "ق" قضية تتضمن واقعة أو حدثا واقعا بالفعل، في حين أن "ربما ق" قضية تتضمن واقعة قد تحصل أولا تحصل.

ويمكن أن نوضح هذا انطلاقا من الحوار التالي:

**1** - لدي مشكل، ربما حضر، زيد للعشاء هذا المساء.

**2** - إذا حضر، سنضيف صحنا، وإذا لم يحضر

فليس هناك أي مشكل.

فإذا اعتمدنا المحتوى الإخباري للقول، فهناك احتمالان واردان: حضور زيد أو عدم حضوره، ولكن في الواقع، فإن النتائج الممكنة الوحيدة، التي يمكن أن نستنتجها من "ربما + ق" هي المتعلقة بتحقق "ح" وليس بتحقق أو بحصول "لا–ح":

– ضع صحنا إضافيا على المائدة، ربما حضر زيد لتناول العشاء معنا هذا المساء.

* – لا تضع صحنا إضافيا على المائدة، ربما حضر زيد لتناول العشاء معنا هذا المساء.

فإذا كان المثالان السابقان يتضمنان نفس المحتوى الإخباري (ح أو لا–ح)، فإنهما مختلفان من الناحية الحجاجية، ولهذا كان القول الأول سليما وكان الثاني لاحنا أو غير سليم.

فمن الناحية الإخبارية، نجد أن الجملة السابقة تحتمل النتيجتين معا، ولكنها من الناحية الحجاجية لا تقبل إلا نمطا واحدا من النتائج، أي لا تقبل إلا النتيجة التي تسير في اتجاه تحقق الحدث أو الواقعة، ف "ربما حصل ح" تنسجم مع "حصل ح"، ولهما نفس الوجهة الحجاجية.

**2** - هناك أقوال ليس لها قيمة إخبارية وصفية، ومع ذلك لها قيمة حجاجية. ومن هذا النمط الأقوال الاستفهامية التي هي من قبيل "هل ق؟" وبعبارة أخرى، عندما يكون

الاستفهام حقيقيا، فإن القول الاستفهامي لا تكون له أي قيمة إخبارية ( Valeur informative ) لأن المتكلم يسأل: هل حصل "ق" أم لم يحصل؟ ولا علم له بأي شيء، لكن هذا القول له قيمة حجاجية، فهو، يسلك سلوك القول المنفي ( لا–ق )، وتكون له نفس الوجهة الحجاجية التي له. ولنأخذ المثال التالي:

– هل أنت حزين؟

فالمتكلم يسأل المخاطب عما إذا كان حزينا أم لا، وسيكون الجواب بنعم أو لا، ويتعلق الأمر هنا بقول إنجازي لا يصف واقعا خارجيا، ولا يحتمل الصدق أو الكذب، وليس له محتوى إخباري ولكن هذا النمط من الاستفهام، قد يستلزم، في بعض السياقات، تأويل القول السابق، انطلاقا من قيمته الحجاجية، على أنه يتجه وجهة القول المنفي، فيكون إذاك مرادفا لجمل من قبيل:

– لست حزينا.
– لا ينبغي أن تكون حزينا.

ويمكن أن نوضع هذا بشكل جيد بواسطة التسلسلات التالية:

– لديك مشاكل، لكن لست حزينا.
– لديك مشاكل، لكن هل أنت حزين؟
* – لديك مشاكل، لكن هل أنت مسرور؟

ويمكن أن نقول إن المثال الثاني مرادف للمثال الأول، وأن لهما وجهة حجاجية واحدة، وأنهما يخدمان نتيجة من قبيل: "لا يمكن أن تكون حزينا" أو "لا ينبغي أن تكون كذلك".

**3** - هناك أقوال لها قيمة حجاجية هي في الواقع عكس قيمتها الإخبارية، أي أن بينهما علاقة تناقض أو تعارض.

ويتعلق الأمر هنا بالأقوال المشتملة على بعض العوامل الحجاجية opérateurs argumentatifs من قبيل: كاد، تقريبا، ما . .إلا، لا . .إلا، ما . . .إلا، لا . .إلا، أو بعض الأفعال مثل: أوشك، قرب، إلى غير ذلك. لندرس الأمثلة التالية:

لن ينتظر الضيوف كثيرا، فقد انتهيت تقريبا.

- لن ينتظر الضيوف كثيرا، فقد أوشكت على الإنتهاء.

- لابد أن ينتظر الضيوف، فأنا لم أنته إلا الآن.

فالمتوقع هو أن نحصل على نتائج مناقضة لهذه النتائج، بما أن العبارة "انتهيت تقريبا" تستلزم دلاليا "أنا لم أنته بعد"، في حين أن العبارة "لم أنته إلا الآن" تستلزم "أنني قد انتهيت" وهو ما يمكن توضيحه على الشكل التالي:

تقريبا + ق ⟵ لا-ق

لم . . .إلا+ ق ⟵ ق

وكان ينبغي أن تكون الأمثلة السابقة مرادفة للمثالين التاليين، أو أن تكون موجهة لخدمة نتائج مماثلة لنتائجها:

- لن ينتظر الضيوف كثيرا، فقد انتهيت
- لابد أن ينتظر الضيوف، فأنا لم أنته بعد.

فهناك تعارض إذن بين المحتوى الإخباري والقيمة الحجاجية، فالمثال الأول يستلزم، من الناحية الدلالية والإخبارية، أنني لم أنته بعد، ومع ذلك فهو يخدم نتيجة إيجابية من قبيل "لن ينتظر الضيوف كثيرا" أو "لن أتأخر عليهم كثيرا"، أما المثال الثالث فهو يستلزم، دلاليا وإخباريا، أنني قد انتهيت، ومع ذلك، فهو موجه لخدمة نتيجة سلبية من نمط: "لابد أن ينتظر الضيوف" أو "ربما تأخرت عليهم". وهذا هو ما يفسر لحن الجملتين التاليتين:

*- لن ينتظر الضيوف كثيرا، فأنا لم أنته إلا الآن.
*- لابد أن ينتظر الضيوف، فقد انتهيت تقريبا.

هناك تناسب دلالي بين القضية الواردة في الجزء الأول من المثال والقضية الواردة في جزئه الثاني، فالعبارة "لم أنته إلا الآن" تستلزم أنني قد انتهيت، وهذا بدوره يستلزم أن

الضيوف لن ينتظروا كثيرا. والشيء نفسه نجده في المثال الآخر، فالعبارة "انتهيت تقريبا" تستلزم دلاليا أنني لم أنته بعد، وهذا يستلزم انتظار الضيوف.

وبالرغم من هذا التناسب الدلالي، وبالرغم كذلك من الانسجام الإخباري الإعلامي، فالجملتان السابقتان لاحنتان حجاجيا وتداوليا وخطابيا، وبعبارة أخرى، ليس هناك تناسب بين الحجة والنتيجة المقصودة. فالقول المشتمل على عامل حجاجي من قبيل: "تقريبا" أو "أوشك على..." أو "كاد.." يسلك، من الناحية الحجاجية، سلوك القول المثبت وتكون له نفس الوجهة الحجاجية التي له:

- انتهيت ———— لن ينتظر الضيوف
- انتهيت تقريبا ———— لن ينتظر الضيوف
- أوشكت على الانتهاء ——— لن ينتظر الضيوف

أما الأقوال التي تتضمن عاملا حجاجيا من نمط "ما.. إلا" أو "لا..إلا"، أي التي تندرج ضمن أدوات القصر مثلا، فإنها تكون مماثلة للاقوال المنفية من حيث السلوك الحجاجي والوجهة الحجاجية. ونبين هذا على الشكل التالي:

- لم أنته بعد ———— سينتظر الضيوف
- لم أنته إلا الآن ———— سينتظر الضيوف

فكل الأمثلة السابقة تبين تعارض المعنى الإخباري والمعنى الحجاجي، ولكن الذي يعتمد في بناء الخطاب وتوالي الأقوال وتسلسل الجمل هو القيمة الحجاجية التي للقول، فهي التي توجه الخطاب وتحدد المسار الذي ينبغي أن يسير فيه.

# الهـوامـــش

1 ـ أنظر بخصوص التمييز بين الحجاج والبرهنة أعمال أزفالد ديكرو وجان بليز غريز وبرلمان وغيرهم.

2 ـ ديكرو: Dire et ne pas dire 1980، ص: 286.

3 ـ ديكرو: Les échelles argumentatives,1980، ص: 10 ـ 11.

4 ـ ديكرو: المصدر السابق، ص: 18.

5 ـ نفسه، ص: 27.

6 ـ نفسه

7 ـ طه عبد الرحمن: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، 1987، ص: 105.

8 ـ ديكرو: السلميات الحجاجية، ص: 16-15.

9 ـ أنظر مقالي ديكرو: "العوامل الحجاجية والقصد الحجاجي" و"الحجاج والمبادئ الحجاجية" (1987).

10 ـ براندوني (1983): Connecteurs pragmatiques et "anaphore" C.L.F العدد: 5/1983.

11 ـ O. Ducrot « Quand le langage ordinaire se donne comme langage scientifique» in P. Ouellet (ed): Les discours du Savoir p: 127 1986.

12 ـ أنظر عناوين أعمال هؤلاء اللغويين في فهرس المراجع.

13 ـ ديكرو: السلميات الحجاجية، ص: 7 ـ 10.

14 ـ نفسه

15 ـ نفسه

16 ـ أنظر بهذا الخصوص أعمال جان كلود أنسكومبر وديكرو.

# الفصل الثاني

# بعض الروابط الحجاجية في اللغة العربية

## مقدمة :

يهدف هذا الفصل إلى دراسة بعض الروابط الحجاجية في اللغة العربية . وقد وقع اختيارنا على هذا الموضوع لجملة أسباب نذكر منها :

– خلو الساحة العربية تماما من مثل هذه المواضيع، في الوقت الذي حظيت فيه دراسة الروابط التداوية والحجاجية باهتمام كبير من قبل دراسة الروابط التداولية والحجاجية باهتمام كبير من قبل الأوساط العلمية الأوربية والأمريكية، فألفت فيها عشرات الكتب والدراسات،وخصصت لها أعداد خاصة من المجلات اللغوية، ثم إنها كانت موضوع ندوات ورسائل جامعية عديدة.

– إن الروابط والعوامل الحجاجية هي المؤشر الأساسي والبارز،) وهي الدليل القاطع على أن الحجاج مؤشر له،في بنية اللغة نفسها.

وإذا كانت الروابط الحجاجية كثيرة في اللغة العربية، شأنها في ذلك شأن اللغات الطبيعية الأخرى، بحيث يمكن أن نذكر منها ما يلي : بل، لكن، إذن، لاسيما، حتى، لأن، بما أن، إذ، إذا، الواو، الفاء، اللام، كي . . . إلخ، فإننا سنقتصر في هذا الفصل على دراسة بعض الروابط الحجاجية، ونقصد بالذكر هنا "بل" ولكن" و"حتى" . وقد وقع اختيارنا على هذه الروابط للأسباب التالية :

1 - كثرة استعمالها في الخطاب والحوارات اليومية.

2 - علاقتها الواضحة والقوية مع المعنى الضمني والمضمر ( Implicite ).

3 - إن ما يقابلها في اللغات الأجنبية (Mais, But Aber, Sondern, Pero, Sino, Même, Even -...) قد تناوله اللسانيون والمناطقة وفلاسفة اللغة بالدرس والتحليل، وقدموا بشأنه مقاربات وتحاليل كثيرة وغنية. ويمكن أن نشير هنا إلى أعمال كواين ( Quine ) وروبين لايكوف ( R.lakoff ) وأزفالد ديكرو ( O.Ducrot ) وجان كلود أنسكومبر ( J.C.Anscombre ) وروبير مارتان ( R.Martin ) وبول كاي ( P.Kay ) وبنوا دي كورنوليي ( Benoît de Cornulier ) . . .إلخ.

وإذا كنا قد اقتصرنا على دراسة بعض الروابط الحجاجية العربية، فإننا نشير إلى أننا سندرس بعض استعمالاتها الحجاجية فقط، ولا نهدف بتاتا إلى تحليلها ودراستها دراسة شاملة مستقصية، تقف عند مختلف الجوانب التركيبية والمعجمية والدلالية والتداولية.

## 1 - " بـل " و " لكـن "

### 1-1 - الوصـف الحجـاجي.

لقد ميز ديكرو وأنسكومبر، في دراساتهما العديدة للأداة "Mais" بين الاستعمال الحجاجي والاستعمال الإبطالي ( Réfutation ) . وإذا كانت اللغة الفرنسية تشتمل على أداة، واحدة تستخدم للحجاج والإبطال، فإن لغات أخرى تتوفر على أداتين : أداة للحجاج وأداة أخرى للإبطال، ويمكن أن نذكر من بين هذه اللغات، اللغة الإسبانية ( Sino, pero ) والألمانية ( Sondern, aber ) والعبرية ( ilay, aval ) والعربية ( بل، لكن ). ولكن اللغة العربية، وإن كانت تلتقي مع الإسبانية والألمانية في توفرها على أداتين، فإنها تختلف عنهما ( وتلتقي في هذا مع الفرنسية ) في أن كل أداة، أي أن كلا من "بل" و"لكن" يستعمل للحجاج والإبطال، وهذا ما سنعمل على توضيحه وبيانه في هذا المبحث، ولنأخذ الأمثلة التالية :

**1** - ألا إن وعد الله حق، ولكن أكثرهم لا يعلمون[1].

**2** - إن الله لذو فضل على الناس، ولكن أكثرهم لا يشكرون[2].

**3** - هي حجرة مربعة الشكل، في حكم البالية، ولكنها على عفائها تزدان جدرانها بالأرابسك[3].

**4** - ليس العلم أحمر ولكنه أخضر.

**5** - ا جاء علي لكن زيد.

وقبل أن ندرس هذه الأمثلة، نشير إلى أن الوصف الحجاجي الذي يقدمه أصحاب النظرية الحجاجية للأداة "Mais" أو لما يقابلها من الأدوات والروابط في اللغات الأخرى في حال استعمالها للحجاج، يمكن تلخيصه كما يلي: إن التلفظ بأقوال من نمط "أ لكن ب" يستلزم أمرين اثنين:

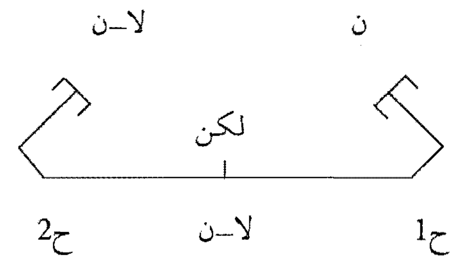
**1** - أن المتكلم يقدم "أ" و"ب" باعتبارهما حجتين، الحجة الأولى موجهة نحو نتيجة معينة "ن"، والحجة الثانية موجهة نحو النتيجة المضادة لها، أي "لا-ن".

**2** - أن المتكلم يقدم الحجة الثانية باعتبارها الحجة الأقوى، وباعتبارها توجه القول أو الخطاب برمته.

وإذا عدنا إلى المثال الأول، فسنجد أن "لكن" الواردة فيه هي "لكن" الحجاجية، فهناك تعارض حجاجي بين ما يتقدم الرابط وما يتلوه، فالقسم الأول من الآية (إن وعد الله حق) يتضمن حجة تخدم نتيجة من قبيل "سيقوم الناس بالواجب" أو "سيطيعون ويتقون"، والقسم الثاني من الآية" "أكثرهم لا يعلمون" يتضمن حجة تخدم نتيجة المضادة للنتيجة السابقة: "لا-ن"، أي تخدم نتيجة من نمط: "الناس غافلون" أو "لن يطيعوا ربهم ولن يتقوه".

وبما أن الحجة الثانية أقوى من الحجة الأولى، فإنها ستوجه القول بمجمله نحو النتيجة "لا–ن".

ويمكن توضيح هذه العلاقة الحجاجية بواسطة الرسم البياني التالي:




والشيء نفسه نقوله عن المثال الثاني، فالحجة المتضمنة في الجزء الأول من الآية (إن الله لذو فضل على الناس) موجهة لصالح نتيجة من نمط "سيشكر الناس ربهم" أو "سيعترفون بالجميل"، وبما أن الواقع هو بخلاف ذلك، فقد جاء القسم الثاني من الآية (أكثرهم لا يشكرون) متضمنا لحجة تخدم النتيجة المضادة ل "ن".

وبالنسبة للمثال الثالث، فقد اشتمل على حجتين: حجة أولى (حجرة مربعة الشكل، في حكم البالية) مقدمة لصالح نتيجة من قبيل: "ليس لها أي قيمة" وحجة ثانية (تزدان جدرانها بالأرابسك) تؤيد النتيجة المضادة للنتيجة السابقة، أي أن الغرفة تعتبر من التحف ولها قيمة حضارية وتاريخية وجمالية. أما إذا انتقلنا إلى

المثالين الآخرين، فنحن لا نجد فيهما تعارضا حجاجيا، فهما يشتملان على تعارض ( Opposition ) ولكنه غير حجاجي، و"لكن" هنا إبطالية. ونشير إلى أن هذه الأداة، بنوعيها المخففة والمثقلة، الحجاجية والإبطالية، تعبر دائما عن معنى التعارض والتنافي بين ما قبلها وما بعدها، وهو ما أكده جل النحاة العرب القدماء، يقول المرادي: "ولا تقع" لكن" إلا بين متنافيين، بوجه ما، فإن كان ما قبلها نقيضا لما بعدها نحو: ( قام زيد لكن عمرا لم يقم )، أو ضدا نحو: ( ما هذا أحمر لكنه أصفر )، جاز بلا خلاف، وإن كان خلافا نحو :( ما أكل لكنه شرب ) ففيه خلاف، والظاهر الجواز. وإن كان وفاقا لم يجز بإجماع"[4] ونفس الشيء أكده الزمخشري بقوله: "لكن" للاستدراك توسطها بين كلامين متغايرين، نفيا وإيجابا، فتستدرك بها النفي بالإيجاب، والإيجاب بالنفي، وذلك قولك :( ما جاءني زيد لكن عمرا جاءني ) و ( جاءني زيد لكن عمرا لم يجيء ). والتغاير في المعنى بمنزلته في اللفظ كقولك: ( فارقني زيد لكن عمرا حاضر ) ( وجاءني زيد لكن عمرا غائب )[5].

ولنأخذ الآن الأداة الأخرى، ونقصد الرابط الحجاجي "بل". إن هذا الرابط يستعمل للإبطال والحجاج، مثله مثل "لكن". وله حالان:

الأول: أن يقع بعده مفرد.

الثاني: أن يقع بعده جملة.

فإن وقع بعده مفرد، فله حالان:

أ- إن تقدمه أمر أو إيجاب نحو: (اضرب زيدا بل عمرا) و(قام زيد بل عمرو) فإنه يجعل ما قبله كالمسكوت عنه، ولا يحكم عليه بشيء، ويثبت الحكم لما بعده.

ب - وإن تقدمه نفي أو نهي نحو: (ما قام زيد بل عمرو) و(لا تضرب زيدا بل عمرا) فإنه يكون لتقرير حكم الأول وجعل ضده لما بعده.

أما إذا وقع بعد "بل" جملة، فيكون معنى الإضراب:

أ- إما الإبطال نحو: (أم يقولون به جنة، بل جاءهم بالحق).

ب- وإما الانتقال من غرض إلى غرض نحو: (قد أفلح من تزكى، وذكر اسم ربه فصلى، بل تؤثرون الحياة الدنيا).

ويهمنا في بحثنا هذا الاستعمال الثاني، أي عندما يكون الإضراب على جهة الترك للانتقال من غرض إلى غرض آخر، من غير إبطال. ونمثل له بالأمثلة التالية:

6- هل أتاك حديث الجنود، فرعون وثمود، بل الذين كفروا في تكذيب[6].

7- ولدينا كتاب ينطق بالحق، وهم لا يظلمون، بل قلوبهم في غمرة من هذا[7].

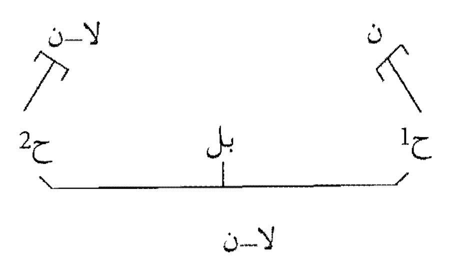
**8** - هذا خلق الله، فأروني ماذا خلق الذين من دونه، بل الظالمون في ضلال مبين[8].

**9** - ق، والقرآن المجيد، بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم، فقال الكافرون هذا شيء عجيب، أ إذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد[9].

**10** - قد أفلح من تزكى، وذكر اسم ربه فصلى، بل توثرون الحياة الدنيا[10].

وقد عبر النحاة عن الإضراب الانتقالي بعبارات شتى من قبيل: "ترك شيء من الكلام وأخذ في غيره"، "الانتقال من غرض إلى آخر"، "التنبيه على انتهاء غرض واستئناف غيره"، "الإضراب على جهة الترك من غير إبطال"، "الانتقال من جملة إلى أخرى أهم من الأولى"، وغيرها من العبارات المتناثرة في كتب النحو.[11] والذي نود الإشارة إليه بهذا الصدد هو أن الأمر يتعلق هنا ب "بل" الحجاجية، المرادفة ل "لكن" الحجاجية، أي المقابلة للأداة الفرنسية: ( Mais ) فإذا أخذنا المثال الأول، والذي علق عليه الزمخشري بقوله: "الإضراب أن أمرهم أعجب من أمر أولئك، لأنهم سمعوا بقصصهم وبما جرى عليهم، ورأوا آثار هلاكهم فلم يعتبروا، وكذبوا أشد من تكذيبهم"[12] فإن "بل" الواردة فيه من النمط الحجاجي، ويمكن توضيحه على الشكل التالي: إن الرابط يقيم علاقة حجاجية مركبة من علاقتين حجاجيتين فرعيتين: علاقة بين الحجة "اطلاعهم على أخبار فرعون وثمود وغيرهم" والنتيجة "سيعتبروا ويتعظوا"، وعلاقة

حجاجية ثانية تسير في اتجاه النتيجة المضادة، أي بين الحجة القوية التي تأتي بعد "بل" وهي " الذين كفروا في تكذيب" والنتيجة المضادة للنتيجة السابقة: "لن يعتبروا ولن يتعظوا" ، والنتيجتان مضمرتان. ويمكن توضيح هذه الترسيمة الحجاجية على الشكل التالي:




حيث "ح1" و "ح2" يشيران إلى الحجج و"ن" تشير إلى النتيجة التي تخدمها هذه الحجج، و"لا–ن" تشير إلى النتيجة المضادة للنتيجة السابقة "ن" والرمز " ⟵ " يشير إلى العلاقة الحجاجية التي تختلف عن علاقة الإستلزام المنطقي "⟵" فالرابط الحجاجي "بل" يربط بين الحجج والنتائج، والنتيجة المضادة "لا–ن" ستصبح نتيجة القول برمته، لأن الحجة التي بعد "بل" أقوى من الحجة التي ترد قبلها، فهؤلاء الأقوام من طبعهم التكذيب، ولذلك لن يؤمنوا ولن يعتبروا.

والشيء نفسه ينطبق على الأمثلة الأخرى، إذ نجد أن الرابط "بل" يربط دائما بين حجتين تخدمان نتيجتين

متضادتين، ولكن الحجة الواقعة بعد الرابط هي الحجة الأقوى، والنتيجة المضادة "لا–ن" هي النتيجة المعتمدة. إلى جانب هذا الاستعمال الحجاجي الذي يكون فيه الرابط "بل" مرادفا ل "لكن" الحجاجية، هناك استعمال حجاجي آخر يكون فيه، هذه المرة، مرادفا ل "حتى"، ونجده في الأمثلة التالية:

**11** - باع علي عقاره ومنزله بل باع أثاثه.

**12** - يحترم زيد أقاربه وجيرانه، بل يحترم خصومه

**13** - كان الشيخ درويش على عهد شبابه، مدرسا في إحدى مدارس الأوقاف، بل كان مدرس لغة أنجليزية[13].

**14** - ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا إنما سكرت أبصارنا، بل نحن قوم مسحورون[14].

**15** - أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون، إن هم إلا كالأنعام، بل هم أضل سبيلا[15].

إن الرابط "بل" الوارد، في هذه الأمثلة، يربط بين حجتين متساوقتين، أي تخدمان واحدة أو يربط بين مجموعة من الحجج المتساوقة، إلا أن الحجة الواردة بعده أقوى من الحجة أو الحجج التي تتقدمه، ومن هنا ترادف "بل" و"حتى". ف "بل" تعبر هنا، عن التساوق الحجاجي( Coorientation argumentative )،في حين أنها، في الاستعمال الحجاجي السابق، تعبر عن التعارض الحجاجي ( Antiorientation ). فنحن نجد أن هذا الرابط،

في المثال الأول، يربط بين ثلاثة حجج هي: "باع عقاره"، "باع منزله"، "باع أثاثه"، وكلها تخدم نتيجة مضمرة من قبيل: "أصبح مفلسا"، والحجة الواردة بعد الرابط: "باع أثاثه" هي الحجة الأقوى. إلى جانب هذين الاستعمالين الحجاجيين ل "بل"، هناك الاستعمال الإبطالي، ونمثل له بالأمثلة التالية:

**16** - وقالوا اتخذ الرحمان ولدا، سبحانه، بل عباد مكرمون[16].

**17** - وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا، قل بل ملة إبراهيم حنيفا[17].

**18** - ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء[18].

**19** - وقالت اليهود يد الله مغلولة، غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا، بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء[19].

**20** - قال كم لبثت، قال لبثت يوما أو بعض يوم، قال بل لبثت مائة عام[20].

إن الأداة "بل، الواردة في هذه الأمثلة، استعملت للإبطال لا للحجاج، والتعارض المعبر عنه هنا ليس تعارضا حجاجيا.

### 1-2 - مقارنـــات:

لقد أبرزنا أهم الاستعمالات الحجاجية والإبطالية ل

"لكن" و"بل"، ونريد أن نبين الآن بعض الفروق القائمة بينهما:

أ- الفرق الأول يتمثل في أن "لكن" لها استعمال حجاجي واحد، تكون بموجبه مقابلة للأداة "Mais". أما "بل" فلها استعمالان حجاجيان: استعمال حجاجي تكون فيه مرادفة ل "لكن"، وتربط بين حجتين متعارضتين، واستعمال حجاجي آخر، تكون فيه مرادفه ل "حتى"، وتربط بين حجتين متساوقتين، أي تؤديان إلى نتيجة واحدة.

**ب**- الفرق الثاني يتمثل في أن لهما سلوكا مختلفا تجاه الواو. والحقيقة أنه إذا كانت الواو تميز "لكن" الخفيفة من "لكن" المشددة، فإنها تميز أيضا "بل" من "لكن". وذهب الفراء إلى أن الواو عندما تدخل على "لكن" فإنها تجعلها مختلفة عن "بل" ومتباعدة عنها: "فإذا ألقيت من لكن الواو التي في أولها آثرت العرب تخفيف نونها، وإذا أدخلوا الواو آثروا تشديدها، وإنما فعلوا ذلك لأنها رجوع عما أصاب أول الكلام، فشبهت ببل إذ كانت رجوعا مثلها، ألا ترى أنك تقول: (لم يقم أخوك بل أبوك)، ثم تقول: (لم يقم أخوك لكن أبوك) فتراهما في معنى واحد، والواو لا تصلح في بل، فإذا قالوا "ولكن" فأدخلوا الواو تباعدت من بل إذ لم تصلح في بل الواو، فآثروا فيها تشديد النون، وجعلوا الواو كأنها دخلت لعطف لا بمعنى "بل"[21] فبالإضافة إلى أن دخول الواو على "لكن" يجعل

العرب تؤثر تشديد نونها، ومعلوم ما بين "لكن" الخفيفة و"لكن" المشددة من اختلاف يتمثل في أن "لكن" المشددة تعمل عمل "إن" فتنصب الاسم وترفع الخبر، والخفيفة لا تعمل لأنها تقع على الأسماء والأفعال، وهذا في المستوى التركيبي، أما في المستوى التداولي، فإن السؤال الذي يفرض نفسه علينا بخصوص الواو و"لكن" في العبارة "ولكن" هو كالتالي: أين هو العاطف النحوي؟ وأين هو الرابط التداولي؟ والجواب طبعا هو أن الواو تعطف و"لكن" تقوم بإنجاز الربط التداولي الحجاجي، بمعنى أنه يحصل هناك نوع من التوزيع التكاملي، أما عندما تكون "لكن" مجردة من الواو، فإنها تقوم بالوظيفتين معا. وإذا قلنا إن العرب تؤثر تشديد "لكن" عندما تدخل عليها الواو فإن هذا على سبيل الجواز لا الوجوب، وإلا فهناك أمثلة عديدة نجد فيها "لكن" الخفيفة مسبوقة بالواو نحو:

**21** - ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون[22].

**22** - ألا إنهم هم السفهاء، ولكن لا يعلمون[23].

**23** - ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة، ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى[24].

**24** - فما غطفان لي بأب

ولكن لؤي والدي قولا صوابا[25]

ونجد الشيء نفسه بالنسبة ل "بل" و "لكن". فهذان الرابطان لهما سلوك مختلف تجاه الواو: ف "لكن" تسمح

بأن تدخل عليها الواو، و"بل" يمكن أن تكون متلوة بالواو، وهناك أمثلة عديدة وردت فيها الواو بعد "بل" وجدناها في الشعر العربي القديم، منها قول أبي نواس:[26]

**25** - ما حجتي فيه أتيت، وما
قولي لربي، بل وما عذري

وأيضا قول ابن الرومي:[27]

**26** - للذبح من غذوا منا ومن حضنا
لا، بل ومن تركاه غير محضون

ومنه قول ابن خلدون:

**27** - ولذلك ترى المغلوب يتشبه أبدا بالغالب في ملبسه ومركبه (...) بل وفي سائر أحواله[28].

إن الواو تميز هنا بين "بل" و "لكن"، بل إنها تميز، وهذا هو الأهم، بين "بل" الحجاجية المرادفة ل "حتى" و"بل" الحجاجية المرادفة ل "لكن". وبعبارة أخرى، فإن هذه السمة البنيوية تمثل رائزا يمكننا من التمييز بين "بل" التي تربط بين الحجج المتساوقة، والتي تقبل مجيء الواو بعدها، و"بل" المعبرة عن التعارض الحجاجي، فالعبارة "بل و" تترجم دائما ب "Même"، ولقد قام أحد الباحثين باستقراء أمثلة عديدة من الشعر والنثر العربي القديم، وردت فيها الواو بعد "بل"[29].

ج- الفرق الثالث يتمثل في أن "بل" تستعمل أساسا لإفادة الإضراب، والإضراب كما حدده الرضي هو جعل

الحكم الأول– موجبا كان أو غير موجب – كالمسكوت عنه بالنسبة إلى المعطوف عليه[30] وقد نسب سيبويه ونحاة آخرون إلى "بل" معنى الاستدراك، ولهذا وجدنا ابن هشام يقول بخصوص "بل": "والصواب: حرف استدراك وإضراب، فإنها بعد النفي والنهي بمنزلة "لكن على السواء"[31]. أما "لكن" فتستعمل أساسا لإفادة معنى الإستدراك، وهو، كما حدده الرضي: "رفع توهم يتولد من الكلام السابق رفعا شبيها بالاستثناء"[32] والحقيقة أن هذين الرابطين يعبران عن الإضراب والاستدراك، ويستعملان للإبطال والحجاج.

وهناك فروق أخرى بين هذين الرابطين، ولكن نكتفي بما ذكرناه.

ونشير، في نهاية هذا المبحث، إلى أنه يحصل أحيانا أن يجتمع هذان الرابطان في سياق الكلام الواحد، ونتساءل حول وظيفة كل منهما. ولنأخذ الأمثلة التالية :

**28** – النار لن تحرق الثورة... ولكنها ستحرق يد من يلعبون بها... بل وتحرق أجسامهم وبيوتهم[33].

**29** – لكن أولائك المعترضين لا فهم لهم، بل ولا عقل[34].

**30** – ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون.

عندما ننظر في هذه الأمثلة، نجد أن "لكن" في المثال الأول إبطالية، و"بل" رابط حجاجي مرادف ل "حتى"، أي يدرج حجة أقوى من الحجة التي تسبقه، ولا يمكن أن تكون لهذين الرابطين نفس الوظيفة، وبهذا يتحقق نوع من الاتساق والانسجام، ونوع من التوزيع التكاملي، ويتضمن المثال الثاني "لكن" الحجاجية المعبرة عن التعارض الحجاجي، و"بل" المعبرة عن التساوق الحجاجي (= Même) . أما المثال الثالث فقد تضمن "بل" الإبطالية "ولكن" الحجاجية.

## 2 - حتى :

### 2 - 1 - الوصف الحجاجي

سنحاول أن ندرس في هذا المبحث الأداة "حتى" دراسة حجاجية، وبعبارة أدق، سندرس بعض الاستعمالات الحجاجية البارزة لهذا الرابط. وسنبين كيف أن هذه الأداة تترجم في اللغة الفرنسية بأداتين هما: "Jusqu'à" و"Même" ونبين أيضا العلاقة القائمة بينهما. ولنأخذ الأمثلة التالية:

31 - أكلت السمكة حتى رأسها.
32 - ألقى الصحيفة كي يخفف رحله
والزاد حتى نعله ألقاها[35]
33 - مات الناس حتى خيارهم

يتعلق الأمر، في هذه الأمثلة، بحتى الحجاجية. فإذا أخذنا المثال الأول، فإن الرابط الحجاجي يربط بين حجتين لهما نفس التوجه الحجاجي: "أكلت السمكة" و"أكلت رأسها"، وهما تخدمان نتيجة من قبيل: "أكلت السمكة كلها" أو "لم أبق منها شيئا"، ولكن الحجة الثانية "أكلت رأسها" التي وردت بعد الرابط أقوى من الحجة التي قبله.

والشيء نفسه ينطبق على المثال الثاني، فحتى هنا تربط بين حجج عديدة، وهي: "ألقى الصحيفة" "ألقى الزاد" "ألقى نعله". وهذه الحجج متساوقة بمعنى أنها

تخدم نتيجة واحدة، والنتيجة المقصودة مذكورة في البيت الشعري، وتتمثل في قول الشاعر: "كي يخفف رحله".

إن الحجة التي تلي الرابط هي الحجة الأقوى، ومعلوم أن الإنسان لا يستطيع أن يستغني عن نعله، وخصوصا إذا كان مسافرا.

وغالبا ما تكون حتى الحجاجية عاطفة، وقد تكون جارة إذا كان ما بعدها داخلا فيما قبلها، لأن المجرور بحتى، حسب جمهور النحاة، يحتمل أن يكون داخلا فيما قبلها أو غير داخل، فإذا قلت "ضربت القوم حتى زيد" فزيد يجوز أن يكون مضروبا، انتهى الضرب به، ويجوز أن يكون غير مضروب، انتهى الضرب عنده. ولا تكون حتى الجارة حجاجية إلا عندما يكون ما بعدها داخلا فيما قبلها، فإذا قلنا: "صمنا الأيام حتى يوم الفطر" فإن حتى ستكون غير حجاجية، لأن يوم الفطر لا يندرج ضمن الأيام التي صمناها.

وللمعطوف ب "حتى" عند النحاة العرب، شرطان:

1 - أن يكون بعض ما قبلها.

2 - أن يكون غاية لما قبلها، في زيادة أو نقص، والزيادة تشمل القوة والتعظيم، والنقص يشمل الضعف والتحقير، وقد اجتمعت الزيادة والنقص في قول الشاعر[36].

34 – قهرناكم حتى الكماة فأنتم

تهابوننا، حتى بنينا الأصاغرا

وهذا يوافق الوصف الحجاجي الذي قدمه ديكرو وأنسكومبر للأداة المقابلة ل "حتى" الحجاجية في اللغة الفرنسية، أي الأداة "Même"، فالحجج المربوطة بواسطة هذا الرابط ينبغي أن تنتمي إلى فئة حجاجية واحدة، Classe argumentative، أي أنها تخدم نتيجة واحدة، ثم إن الحجة التي ترد بعد "حتى" هي الأقوى، وهو ما يقصده النحاة بقولهم: " أن يكون ما بعدها غاية لما قبلها. . . ." ولذلك فإن القول المشتمل على الأداة "حتى" لا يقبل الإبطال والتعارض الحجاجي، ولهذا فإن جملة من قبيل:

35 - * هذا الشيخ نبذه أصدقاؤه وأقاربه، حتى أولاده، ولكنه يتمتع بمعنويات عالية.

جملة لاحنة وغير مستقيمة، ويكفي أن نزيل الرابط "حتى" من هذه الجملة لتصبح آنذاك جملة سليمة، ولا يمكن أن نقدم وصفا إخباريا للجمل التي تشتمل على الأداة "حتى"، أي لجمل من قبيل: "حتى زيد جاء" أو "غلبك الناس حتى الصبيان". ونعتبر أن دور هذا الرابط يتمثل فقط في إضافة معلومة من قبيل: "لم يكن مجيء زيد متوقعا"، أو "لم نكن نتوقع أن يغلبك الصبيان أيضا".
إننا لا نستطيع أن نستعمل الأقوال السابقة (أي المشتملة على الأداة "حتى") إلا إذا كنا نقصد أن نوظف مجيء

زيد أو انتصار الصبيان للاستدلال على شيء آخر من قبيل "نجاح الحفل" أو "ضعف الشخص المقصود وهوانه"[37].

ولهذا فإن الوصف الحجاجي هو الملائم في هذا السياق، وبالنسبة لهذا النمط من الروابط والأدوات.

وتعبر "حتى" عن الغاية حتى عندما تستعمل في سياقات زمانية ومكانية نحو:

**36** - سلام هي حتى مطلع الفجر[38].

**37** - سأذهب حتى أكادير

والعلاقة بين "حتى" الحجاجية و"حتى" الزمانية المكانية تتمثل في تعبيرهما عن الغاية. ولما كانت "حتى" معبرة عن الغاية في جميع أحوالها واستعمالاتها، كانت مقابلا لكل من Même و Jusqu'à ، وأمكننا الحديث إذاك عن الغاية الحجاجية والغاية الزمانية المكانية.

## 2 - 2 - استعمالات حجاجية أخرى

هناك استعمالات حجاجية أخرى ل: حتى: يكون فيها هذا الرابط مقابلا للأدوات التالية:

Jusqu à ce que, avant que, afin que, pour... إلخ.

نذكر من هذه الاستعمالات دلالتها على التعليل. ويمكن التمثيل لهذا بالأمثلة التالية:

**38** – وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة[39].

**39** – ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم

إن استطاعوا[40].

**40** – وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله[41].

**41** – أسلم حتى تدخل الجنة.

فحتى، في الأمثلة السابقة، تدل على التعليل، أي أن ما قبلها علة لما بعدها، وهي مرادفة لكي التعليلية. فالمثال الأول معناه: (قاتلوهم كي لا تكون فتنة)، والمثال الثاني معناه: (يقاتلونكم كي يردونكم). والشيء نفسه ينطبق على الأمثلة الأخرى. وإذا كان ما قبل حتى علة لما بعدها، فإن الأمر مختلف للام التعليل، فما بعدها علة لما قبلها كما في المثال: (وإنه لحب الخير لشديد[42]) ويتعلق الأمر، في الأمثلة السابقة، بالاستعمال الحجاجي، لأن الأداة "حتى" استعملت لتحقيق غايات حجاجية.

وهناك أمثلة وقع بشأنها خلاف بين النحاة فرجح بعضهم أن تكون للتعليل، ورجح آخرون أن تكون دالة على الغاية، ونذكر منها:

**42** - فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله[43].

**43** - هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا[44].

فاللغويون يقولون بأن "حتى" تحتمل التعليل والغاية، وإن كانوا قد رجحوا دلالتها على التعليل[45].

والسؤال الذي نود أن نطرحه هنا هو كالتالي: إذا كانت حتى التعليلية حجاجية، فهل الأمر كذلك بالنسبة لحتى الغائية الواردة في الأمثلة السابقة؟ إننا سنجيب بالإيجاب، وسنقول إن "حتى" هنا تقابل الأداة "Jusqu'à ce que" ولا تقابل الأداة "Jusqu'à" التي تدل على الزمان والمكان فقط. إن "حتى" الواردة في الأمثلة السابقة حجاجية، سواء أكانت تدل على التعليل أم كانت تدل على الغاية. وهذه الأمثلة تحتمل التعليل والغاية لأن الأمر يتعلق باستعمال حجاجي في الحالتين معا، والسياق هو الذي سيحدد أي المعنيين هو المعنى المقصود.

ولنأخذ المثالين التاليين:

**44** - عليك أن تعمل حتى تنجح.

**45** - ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم[46].

لقد استعملت "حتى" في هذين المثالين للحجاج والإقناع. فالمثال الأول قد يقرأ قراءة سببية، و "حتى" تدل في هذا السياق على التعليل. وقد يقرأ أيضا قراءة شرطية. فالمتكلم يقدم الحجة (عليك أن تعمل) باعتبارها شرطا لحصول النتيجة المتوخاة وهي النجاح.

وهو يوظف مبدأ حجاجيا من قبيل:

م.ح: بقدر ما نعمل ونجتهد، ننجح.

ومعلوم أن الحجة تقدم بطرق عديدة ومتنوعة، بحسب

الرابط الذي تم توظيفه في الجملة، وبعبارة أخرى، تقدم الحجة باعتبارها أقوى من الحجة أو من الحجج التي سبقتها (حتى، بل، لا سيما....) أو باعتبارها حجة مضادة (لكن، بل،....) أو باعتبارها حجة مقبولة ومسلما بها من لدن المخاطب (بما أن،...)، وقد تقدم أيضا باعتبارها علة وسببا، أو باعتبارها شرطا يؤدي تحقيقه وحصوله إلى تحقيق النتيجة المقصودة كما في المثالين السابقين.

ونزيد أن نشير إلى أن روابط الشرط والتفسير والتبرير والتعليل تترابط وتتعارض وتتقابل فيما بينها. فإذا عوضنا "حتى" الواردة في المثال (44) برابط من روابط التعليل أو التفسير، فإن هذا المثال سيصبح على الشكل التالي:

- نجح لأنه كان يعمل

ونلاحظ أن المبدأ الحجاجي الذي تم تشغيله هنا هو المبدأ الحجاجي السابق، أي الذي تم اعتماده وتوظيفه في المثال (44)، ولكن الاختلاف القائم بين هذين المثالين يرتبط بالطريقة التي قدمت بها الحجة. ومفهوم العلاقة الحجاجية مفهوم عام ومرن، وقد يرد على شكل علاقة شرطية أو سببية أو تفسيرية أو تبريرية أو استنتاجية. ويقدم لنا المثال الآخر(45) استعمالا حجاجيا آخر ل"حتى" يستعمل فيه الرابط للتبرير والتفسير، ويمكن صياغته والتعبير عنه بصيغة أخرى، فنقول " إذا كان الله قد غير نعمة أنعمها على قوم، فلأنهم قد غيروا ما بأنفسهم".

وهذا المثال يقبل قراءات أخرى. ولا يمكن أن نتفق

مع أندري ميكال ( A. Miquel ) الذي اعتبر "حتى" في هذه الآية زمنية[47] إن الأمر هنا يتعلق باستعمال حجاجي، لا باستعمال زمني.

### 3 - 2 - حتى وعلاقات الحيز بين النفي والأسوار:

سنبين فيما يلي الدور الذي يقوم به هذا الرابط الحجاجي في تحديد علاقات الحيز بين النفي والأسوار، ولنأخذ المثالين التاليين :

**46** - كل الفرسان لم يشاركوا في الحرب

**47** - جميع الأصدقاء لم يحضروا

إذا تأملنا هذين المثالين، فسنلاحظ أنهما ملتبسان، أي يحتملان عدة قراءات. هناك إمكانيتان –على الأقل– فيما يتعلق بالتأويل الدلالي لهذين القولين:

أ– يوجد السوران "كل" و"جميع" داخل حقل النفي، والنفي له المجال الأوسع. وفي هذا الإطار، سيكون معنى المثالين السابقين كالتالي :

– شارك بعض الفرسان في الحرب.
– حضر بعض الأصدقاء.

ب– إن عامل النفي – حسب التأويل الثاني – هو الذي يوجد داخل حيز السور. وسيكون معنى الجملتين، هذه المرة، كالآتي :

- لم يشارك أي فارس في الحرب .
- لم يحضر أي صديق .

ولنعد الآن إلى النقطة التي نريد أن نوضحها، وهي المتعلقة بدور الرابط "حتى" في تحديد علاقات المجال بين النفي والأسوار، ولنأخذ الأمثلة التالية :

**48** - كل الأولاد لم ينجحوا في الامتحان حتى المجتهدون .

**49** - كل الفرسان لم يشاركوا في الحرب، حتى الشجعان .

**50** -جميع الأصدقاء لم يحضروا، حتى المخلصون .

هذه الأمثلة لا تقبل إلا تأويلا واحدا يكون فيه للسور الحيز الواسع والمجال الأكبر، أي أن النفي يكون مندرجا داخل حيز السور .

وبعبارة أخرى، فإن الشروح الممكنة لهذه الأمثلة هي كالتالي :

- لم ينجح أحد في الامتحان .
- لم يشارك أحد في الحرب .
- لم يحضر أي صديق .

نلاحظ، بخصوص هذه الأمثلة، أن وجود الأداة "حتى" قد أزال الالتباس، وجعل هذه الجمل لا تقبل إلا تأويلا دلاليا واحدا . أما التأويل الآخر الذي يكون السور

بموجبه مندرجا في حيز النفي لم يعد ممكنا ولا واردا.

ونشير إلى أن هذا المعطى يتلاءم بشكل كبير جدا مع الوصف الحجاجي الذي قدمه ديكر وأنسكومبر لهذا الرابط أو لما يقابله في اللغات الطبيعية، والذي بيناه آنفا، ولنأخذ الآن الجمل المناظرة للجمل السابقة، أي التي لا تختلف عنها إلا فيما يتعلق بترتيب العوامل المنطقية:

**51** - لم ينجح كل الأولاد في الامتحان.

**52** - لم يشارك كل الفرسان في الحرب.

**53** - لم يحضر جميع الأصدقاء.

هذه الجمل ملتبسة أيضا، ولو أن ترتيب العوامل المنطقية مختلف. فالنفي هنا هو الذي يتقدم على السور الكلي ويسبقه. فكل مثال من هذه الأمثلة له تأويلان ممكنان: يكون السور في أحدهما مندرجا في مجال النفي، ويكون النفي داخل حيز السور الكلي في التأويل الآخر.

وإذا أضفنا "حتى" إلى الأمثلة الأخيرة، فإننا سنحصل على نتيجة مماثلة للنتيجة التي حصلنا عليها بخصوص الأمثلة السابقة (48)و (49) و (50):

**54** - لم ينجح كل الأولاد في الامتحان، حتى المجتهدون.

**55** - لم يشارك كل الفرسان في الحرب، حتى الشجعان.

**56** - لم يحضر جميع الأصدقاء، حتى المخلصون.

لا تقبل هذه الأمثلة إلا تأويلا واحدا، وهو التأويل الذي يمنح للسور الكلي الحيز الأوسع، ويجعله غير خاضع لتأثير النفي، وتكون الشروح المسندة لهذه الجمل إذاك هي: لم ينجح أي ولد، ولم يشارك أي فارس في الحرب، ولم يحضر أي صديق.

إن إبعاد التأويل الآخر يجعلنا نحصل على قول منسجم دلاليا وحجاجيا، وبعبارة أخرى، هناك نوع من التنافر وعدم التلاؤم الدلالي بين خصائص الرابط الحجاجي "حتى" الذي يدرج الحجة الأقوى، حسب اصطلاح النظرية الحجاجية، والتأويل الذي بموجبه يكون السور مندرجا في مجال النفي: (شارك بعض الفرسان في الحرب - حضر بعض الأصدقاء - نجح بعض الأولاد في الامتحان).

ولهذا السبب أيضا لاحظنا أن الرابط الحجاجي "حتى"، لا يمكن أن يستعمل داخل القول الواحد، إلا مع الأسوار الكلية (كل، جميع،.....) أو الأسوار شبه الكلية (جل، أغلب، كثير،....) أما الأسوار الوجودية أو البعضية (بعض، قليل، كثير،....) فلا يتلاءم معها بتاتا. ولنوضح هذا بالمثالين التاليين:

**57** -* بعض التلاميذ لم ينجحوا، حتى الأذكياء

**58** -* قليل من الجنود لم يفروا، حتى الجبناء

هاتان الجملتان لاحنتان وغير مقبولتين، وهذا يشكل دليلا لصالح الفرضية التي قدمناها. ويكفي أن نعوض السورين "بعض" و"قليل" بسورين كليين أو شبه كليين ليزول اللحن، وتصبح الجملة سليمة ومقبولة:

**59** - كل التلاميذ لم ينجحوا، حتى الأذكياء
**60** - أغلب الجنود لم يفروا، حتى الجبناء

وترجع مقبولية الجملتين الأخيرتين إلى التلاؤم القائم بين الخصائص الحجاجية التي للرابط "حتى" والخصائص الذاتية التي تتوفر عليها الأسوار الكلية وشبه الكلية. فالحجة التي تدرجها الأداة "حتى" هي أقوى الحجج، وهي آخر حجة يمكن تصورها أو يمكن تقديمها لصالح النتيجة المقصودة. إن ما قدمناه بشأن الجمل المشتملة على نفي وسور، ينطبق أيضا على الجمل التي تشتمل على سور فقط، نحو:

**61** - كل الأولاد شاهدوا الفيلم.
**62** - جل الأفراد أدوا الثمن

إذا أضفنا الأداة "حتى" إلى هذين المثالين، فستظل النتيجة مقبولة:

**63** - كل الأولاد شاهدوا الفيلم، حتى الصغار منهم
**64** - جل الأفراد أدوا الثمن، حتى الفقراء

ويكفي أن نعوض السورين "كل" و"جل" بسورين بعضيين أو جزئيين مثل "بعض" و"قليل" لنحصل على نتائج لاحنة وغير سليمة.

65 - * بعض الأولاد شاهدوا الفيلم، حتى الصغار منهم

66 - * قليل من الأفراد أدوا الثمن، حتى الفقراء

كل ما تقدم يؤكد الفرضية التي قدمناها بخصوص العلائق القائمة بين النفي والأسوار من جهة، والخصائص الحجاجية التي للرابط "حتى" من جهة أخرى، ثم إنه يؤكد ورود الوصف الحجاجي الذي قدم لهذا الرابط ولما يقابله في اللغات الطبيعية.

**2 - 4 - حتى وبل: مشروع مقارنة:**

لقد رأينا في المبحث السابق أن "بل" له وظيفتان حجاجيتان، فهو يستعمل مرادفا ل "لكن" و"حتى"، أي أنه يمكن أن يترجم في اللغة الفرنسية بواسطة الأداتين: "Mais" و"Même". وتهمنا الحالة الثانية، وهي التي تتمثل في قيام نوع من الترادف بين "بل" و"حتى"، فكلاهما يربط بين حجتين لهما نفس التوجه الحجاجي، وكلاهما يقدم الحجة الثانية باعتبارها الحجة الأقوى التي تخدم النتيجة المقصودة، ويمكن ترجمتهما معا بالرابط الفرنسي "Même"، ونريد الآن أن نجري مقارنة موجزة

بين هذين الرابطين الحجاجيين من أجل إبراز بعض الفروق والاختلافات القائمة بينهما. ولكن نشير قبل ذلك إلى أن التشابهات والخصائص المشتركة بين هاتين الأداتين هي التي تفسر ترادفهما في بعض السياقات، وتفسر أيضا إمكان تعاوضهما، وبعبارة أخرى، فإنهما قد يردان في نفس الموقع دون أن نحصل على نتيجة لاحنة أو غير مقبولة.

لنأخذ الأمثلة التالية:

**67** - باع عقاره، حتى منزله

**68** - باع خالد عقاره، بل منزله

**69** - يحترم أقاربه وأصدقائه، حتى خصومه

**70** - يحترم أقاربه وأصدقائه، بل خصومه

نلاحظ، في الأمثلة السابقة، أن "بل" و"حتى" متعاوضان ومترادفان. وهذا يؤكد افتراضنا السابق بوجود استعمال حجاجي آخر ل "بل" يكون فيه هذا الرابط مرادفا ل "حتى"، ومقابلا ل "Même".

لكن إلى جانب هذه الخصائص المشتركة، هناك بعض الفروق التي تميز كل واحد منهما عن الآخر، وأول فرق نذكره بهذا الصدد يتمثل في إمكان مجيء الواو بعد "بل". ولو طبقنا هذا على المثالين السابقين لكان الأمر على الشكل التالي:

**71** - باع خالد عقاره بل ومنزله

**72** - يحترم أقاربه وأصدقائه بل وخصومه

فهما جملتان سليمتان، ولكن إذا أدرجنا الواو بعد "حتى"، فإن القول سيصبح لاحنا:

73 – * باع خالد عقاره حتى ومنزله

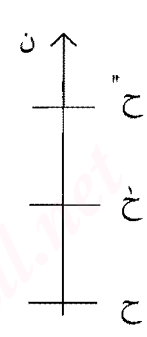
وإدراج الواو بعد "بل" مسألة اختيارية، وبعد "حتى" أمر ممتنع – وهذا الاختلاف البنيوي أو التركيبي ليس مجانيا أو هامشيا، بل إنه جد مهم، وله صلة وثيقة بفرق آخر يتعلق بالطبيعة الحجاجية لكل رابط، أي بالطريقة التي يتم بها تقديم الحجج والأدلة.

لقد أشرنا آنفا إلى أن الحجاج فعل لغوي، وأن التسلسلات الخطابية تحددها البنية اللغوية للأقوال، وإذا كنا نجد في البنية اللغوية لبعض الأقوال سمات أو مؤشرات تفرض قيودا حول طبيعة أو نمط الحجة المختارة، فإن هناك سمات لغوية أو تركيبية أخرى تتعلق بكيفية عرض الحجج وتقديمها. ويشكل إمكان إدراج الواو أو عدم إدراجه بعد الرابط أحد هذه السمات التي تميز "بل من "حتى".

ولمزيد من التوضيح نقول: إذا كان هذان الرابطان يستعملان معا لإدراج حجة قوية في سلمية حجاجية معينة، فهناك فرق كبير وهام بينهما من حيث الكيفية التي يقدم بها كل رابط هذه الحجة.

فالأداة " حتى" تقدم الحجة القوية باعتبارها الحجة الأقوى من كل الحجج، وباعتبارها الحجة الأخيرة التي يمكن تقديمها لصالح النتيجة المقصودة، وبعبارة أخرى،

فيه الحجة التي تتموقع في أعلى السلم الحجاجي. وإذا افترضنا أن ( ح" ) هو الحجة المدرجة بواسطة "حتى" فإننا نستطيع أن نمثل لهذا السلم بالخطاطة التالية:

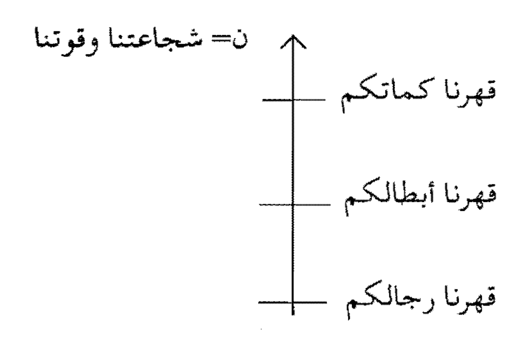



وبعبارة أخرى، فإنه لا يمكن أن ترد حجج وأدلة بعد الحجة المدرجة بواسطة الرابط "حتى". وتؤكد هذه الحقيقة الاستعمالات العديدة والمتنوعة لهذه الأداة، لننظر في الأمثلة التالية:

**74** - قهرناكم حتى الكماة منكم
**75** - هذا الشيخ نبذه أقاربه حتى أولاده
**76** - قدم الناس حتى المشاة
**77** - غلبه الناس حتى الصبيان
**78** - خرجوا حتى الأمير

فنحن نلاحظ، في كل هذه الأمثلة، أن الحجة التي تأتي بعد "حتى" هي أقوى حجة يمكن أن نتخيلها ونتصورها، وهي التي سترد في أعلى مراتب السلم

الحجاجي، وستكون السلمية الحجاجية المرتبطة بالمثال الأول على الشكل التالي:




وهذا هو ما يفسر لحن الأقوال التي تكون فيها الحجة المدرجة بواسطة "حتى" متلوة ومتبوعة بحجة أخرى، أي في الحالات التي لا تشكل فيها الحجة الأخيرة التي يمكن تقديمها. ولنطبق هذا على الأمثلة السابقة:

79 - * قهرناكم حتى الكُماة والرجال منكم
80 - * هذا الشيخ نبذه أقاربه حتى أولاده وجيرانه
81 - * قدم الناس حتى المشاة والفرسان
82 - * غلبه الناس حتى الصبيان والكهول

إن اللحن أو الشذوذ الموجود في هذه الأمثلة، مرده إلى أن الحجة التي أضفناها أقل قوة من الحجة التي تلي الرابط مباشرة، والتي تقدم باعتبارها أقوى الحجج التي يمكن تقديمها.

ومعلوم أن الحجج متفاوتة من حيث قوتها الحجاجية، ومن حيث إمكاناتها الاقناعية الاستدلالية، ومن هنا مفهوم السلم الحجاجي أو مفهوم المراتب الحجاجية.

فالحجج اللغوية ليست متكافئة ولا متماثلة، وتخالف في هذا البراهين المنطقية والرياضية. فالحجة اللغوية لها قوة معينة، وتحتل مرتبة ما من المراتب الحجاجية، فهناك الحجج القوية والحجج الأقوى، وهناك الحجج الضعيفة والحجج الأضعف.

والخاصية الأساسية للحجة التي ترد بعد "حتى" تتمثل في أن هذه الحجة تعد أقوى حجة يمكن أن نقدمها لصالح النتيجة المقصودة.

فقهرنا للكماة، في المثال ( 74 )، وهم الأبطال الأشداء، أقوى دليل على شجاعتنا وبسالتنا، وهو أهم من قهرنا للرجال العاديين، وما جعل المثال ( 79 ) شاذا ولاحنا هو مجيء لفظ "الرجال" بعد لفظ "الكماة"، أي ورود حجة ضعيفة بعد حجة قوية، مع أن الرابط اللغوي "حتى" يفرض قيودا على الكيفية التي ستعتمد في تقديم الحجج، ويحدد التوجه الحجاجي العام للقول برمته.

ونقول الشيء نفسه عن الأمثلة الأخرى، فنبذ الأولاد لأبيهم، في المثال ( 75 )، أصعب من نبذ الجيران والأقارب، وهو الأكثر إيلاما وتعذيبا للنفس. والصبيان في المثال( 77 ) أقل قوة من الشباب والكهول، وأن يغلبك الصبيان هو الدليل الأقوى على ضعفك وعجزك وهوانك.

فالحجة التي ترد بعد "حتى" ينبغي أن تتموقع في أعلى السلم الحجاجي وتسند إليها أعلى المراتب الحجاجية، وأن تكون آخر حجة يمكن تقديمها لصالح النتيجة المقصودة.

وإذا عدنا إلى الرابط الآخر "بل"، فسنجد أن الوضع مختلف، وإذا كان هذا الرابط يشترك مع "حتى" في كونه يدرج حجة أقوى من الحجة الواردة قبل الرابط (ومن هنا إمكان ترجمته بالرابط الفرنسي Même)، فإنه لا يقدم الحجة القوية باعتبارها أقوى وأفضل حجة تخدم النتيجة المقصودة، أو باعتبارها حجة واقعة في أعلى مراتب السلم الحجاجي. إن الحجة المدرجة بواسطة "بل" يمكن أن تتلوها حجج أقوى منها: وإذا قمنا بتطوير المثال (68) فإنه يصبح على الشكل التالي:

**83** – باع عقاره بل منزله وأثاثه

**84** – باع خالد عقاره بل منزله وأيضا أثاثه

فهذا المثال يشتمل على ثلاثة حجج (بيع العقار، بيع المنزل، بيع الأثاث) تؤكد أن المعني بالأمر قد أصبح مفلسا، وأنه لم يعد يملك أي شيء.

ومعلوم أن الحجة الأخيرة (بيع الأثاث) هي الحجة الأقوى، ونشير إلى أنه يمكن إدخال تعديل على هذا المثال، ونقوم بإبدال "بل" ب "حتى"، فيصبح بهذا الشكل:

**85** - باع خالد عقاره حتى منزله وأثاثه

والمثال صحيح ومقبول، إلا أن وجه الاختلاف بين هذا المثال والمثال السابق من الناحية الحجاجية يتمثل فيما يلي: إن بيع المنزل والأثاث، في المثال الأخير، يشكل بمجمله حجة واحدة مدرجة بواسطة "حتى". إذن لا يتعلق الأمر هنا بحجتين واقعتين بعد الرابط، بل بحجة واحدة تعد أقوى من الحجة المذكورة قبل الرابط (بيع العقار).

ونعتقد أن المثالين التاليين يوضحان هذا بشكل جيد:

**86** - باع خالد عقاره بل منزله وكذلك أثاثه

**87** - * باع خالد عقاره حتى منزله وكذلك أثاثه

والسبب الذي كان بموجبه المثال الأخير لاحنا هو أن الرابط "حتى" يرفض أن تكون الحجة التي يدرجها متلوة بحجة أخرى أقوى منها.

وننتقل الآن إلى فرق ثالث بين "بل" و"حتى".

ويتمثل هذا الفرق في أن "حتى" لا تدرج، في أغلب الحالات، إلا الحجة القوية، أما الحجج الأخرى التي تتقدم الرابط فتكون مضمرة، والمخاطب قادر على اكتشافها والتوصل إليها. لننظر في الأمثلة التالية:

**88** - يحترم حتى خصومه

**89** - كان مترددا حتى في اللحظة الأخيرة

**90** - أعجبتني الجارية حتى حديثها

**91** - قدم الحجاج حتى المشاة

ليس في كل هذه الأمثلة، إلا حجة واحدة معبر عنها بشكل ظاهر وصريح. أما الرابط الآخر "بل" فيشترط التصريح بكل الحجج المستعملة والموظفة لصالح نتيجة ما، وبعبارة أخرى، فإنه لا يقبل إظهار بعض الحجج وإضمار بعضها الآخر. وهذا هو ما يفسر لحن الجملتين التاليتين:

**92** - * يحترم بل خصومه
**93** - * كان مترددا بل في اللحظة الأخيرة

اللذين لا يختلفان عن المثالين (88) و(89) إلا من حيث الرابط المستعمل. وليس هذا هو التفسير الوحيد الذي يمكن تقديمه بخصوص لحن هاتين الجملتين، فقد تكون هناك تفسيرات تركيبية ودلالية أخرى، لكن الذي يهمنا نحن هنا هو الجوانب الحجاجية التداولية.

وإذا عدنا إلى المثالين السابقين (92) و(93)، وقمنا بإظهار الحجج المضمرة والتعبير عنها بشكل صريح، فإن النتيجة المحصل عليها ستكون مقبولة:

**94** - يحترم أقاربه وجيرانه بل خصومه
**95** - كان مترددا في كل اللحظات، بل كان مترددا في اللحظة الأخيرة.

أما الفرق الرابع بين هذين الرابطين فيتمثل في أن "بل" تتضمن نوعا من التصحيح، ولم نقل إنها تتضمن تصحيحا تاما، أي تصحيحا لغلط، لأن "بل" التي ندرسها

هنا مرادفة ل "حتى"، وهي تختلف عن "بل" الإبطالية التصحيحية المرادفة ل "لكن". وهذا يتوافق مع ما قلناه آنفا من أن هذه الأداة تعبر دائما عن التعارض والتصحيح. وهذا النوع من التصحيح هو الذي يمكن "بل"، المرادفة ل "حتى" من إدراج حجة أقوى من الحجة التي تتقدم الرابط. فالمتكلم يتصرف كما لو أن الحجة المقدمة سابقا ضعيفة وغير كافية، وأنها لا تخدم النتيجة المقصودة بشكل جيد، وهذا يدفعه إلى إدراج حجة أخرى، أقوى منها وأكثر إيفاء بالغرض المطلوب.

هناك فرق خامس نوضحه هذه المرة بواسطة نظرية الأصواتية أو تعدد الأصوات[48] (La polyphonie)، والذي نريد أن نبينه، في هذا الإطار، هو وجود اختلاف أصواتي[49] بين "بل" و"حتى"، فالفرضية التي تقول بها وتدافع عنها نظرية الأصواتية هي أن إنتاج المعنى تشارك فيه مجموعة من العناصر، وأن المعنى ذو طبيعة حوارية، ولهذا فإنها ترفض أحادية الذات المتكلمة، وتميز بين مجموعة من الشخصيات التي تساهم في إنتاج القول وتحديد معناه، ومنها:

- المتكلم باعتباره كائنا فزيائيا فزيولوجيا (المنتج الفزيائي للقول): (Locuteur - λ)
- المتكلم باعتباره مسؤولا عن الكلام وعن التلفظ (المتكلم باعتباره متكلما) (Locuteur - L)
- القائلون Les énonciateurs أو الأصوات Les voix

التي تتحدث داخل القول، أي داخل المعنى، وتعبر عن آرائها ومواقفها.

فما هو هذا الإختلاف الأصواتي التلفظي الموجود بين "بل" و"حتى"، أو بين الأقوال المتضمنة لهما؟ لندرس المثال التالي:

**96**- حضر الكاتب العام وحتى الرئيس

فحسب نظرية الأصواتية، سنقول إن هذا القول يشتمل على قائلين (Deux énonciateurs) أو صوتين (deux Voix)، بالإضافة إلى المتكلم، وهما: ق1 وق2، وكل قائل منهما مسؤول عن فعل حجاجي معين. فالقائل الأول نسند إليه وجهة النظر التي تقول: "حضور الكاتب العام حجة ودليل على نجاح اللقاء"، ونسند إلى القائل الثاني وجهة نظر أخرى: "حضور الرئيس دليل أقوى لصالح النتيجة نفسها".

والمتكلم (ونقصد هنا المتكلم باعتباره متكلما داخل الكلام ومسؤولا عنه، والذي يؤشر له بضمير المتكلم) يمكن أن يتخذ مواقف عديدة ومختلفة تجاه القائلين وتجاه آرائهم ووجهات نظرهم: التعليق، الرفض، الموافقة، التماثل أو المماثلة.... إلخ، وفيما يتعلق بمثالنا السابق، وكل الأمثلة التي تشتمل على "حتى"، فإن المتكلم يتماثل مع ق1 وق2، ويتبنى وجهتي نظرهما، ويعتبرهما موضوع قوليته. ولنأخذ الآن مثالا يتضمن هذه المرة الرابط الحجاجي "بل"،

ولندرسه بنفس الطريقة :

**97** - زيد تلميذ ذكي، بل هو الأول دائما في قسمه

فهذا القول يشتمل أيضا على قائلين، أحدهما يقول إن زيدا ذكي والآخر يقول إنه الأول في قسمه دائما وأبدا، ولكن المتكلم، هذه المرة، يتخذ مواقف مختلفة تجاه هذين القائلين، فهو يعطي موافقته ل ق1، أي أنه يوافقه على وجهة نظره ولكنه لا يتماثل إلا مع ق2. وهذا الاختلاف الأصواتي (Polyphonique) التلفظي بين الرابطين "بل" و"حتى" مرتبط كل الارتباط بفكرة التصحيح المشار إليها آنفا، التي نجدها في "بل" ولا نجدها في "حتى".

لقد أبرزنا بعض الاستعمالات الحجاجية لهذا الرابط، وأيضا للرابطين "بل" و"لكن" وهناك حتما استعمالات حجاجية أخرى.

ولكن هدف هذا الفصل لا يتمثل في دراسة شمولية استقصائية لكل المظاهر الحجاجية لهذه الروابط، ولا يتمثل أيضا في دراسة الجوانب التركيبية والدلالية والتداولية، فمثل هذا يتطلب بحثا كاملا ومستقلا، بل يتطلب بحوثا عديدة ومتنوعة، إن ما كنا نهدف إليه هو أن نبرز مظهر آخرا من مظاهر البنية الحجاجية للغات الطبيعية، فالحجاج نجده في المعنى والاستعارة ونجده في الروابط والأدوات وظواهر لغوية عديدة.

# الــهوامـــش

1. سورة يونس، الآية: 55.
2. سورة يونس، الآية: 60.
3. نجيب محفوظ: زقاق المدق، ص: 9.
4. المرادي: الجنى الداني، ص: 616.
5. المصدر السابق.
6. سورة البروج، الآيات: 17-19.
7. سورة المؤمنون، الآية: 62-63.
8. سورة لقمان، الآية: 11.
9. سورة ق، الآية: 1-2.
10. سورة الأعلى، الآيات: 14-16.
11. هذه الأقوال هي، على التوالي، لكل من سيبويه وابن هشام وابن مالك في (شرح الشافية) وابن عصفور في (المقرب) والرضى في (شرح الكافية).
12. الزمخشري: الكشاف، ج 4، ص: 188.
13. نجيب محفوظ: زقاق المدق، ص: 20.
14. سورة الحجر، الآية: 14-15.
15. سورة الفرقان، الآية: 44.
16. سورة الأنبياء، الآية: 26.
17. سورة البقرة، الآية: 135.
18. سورة البقرة، الآية: 154.
19. سورة المائدة، الآية: 64.

41. سورة التوبة، الآية: 6.

42. سورة العاديات، الآية: 8.

43. سورة الحجرات، الآية: 9.

44. سورة المنافقون، الآية: 7.

45. أنظر مؤلفات ابن هشام والزمخشري وأبي حيان والألوسي وغيرهم، وأنظر أيضا محمد سالم محمد: التعليل في القرآن الكريم.

46. سورة الرعد، الآية: 11.

47. أندري ميكال: "الأداة" حتى "في القرآن" في مجلة B.E.A، العدد: 21، 1968، ص:420.

48. ديكرو: Le dire et le dit، مينوي، 1984، الفصل الثامن من الكتاب.

49. نترجم "Polyphonique" "ب" أصواتي"، نسبة إلى الأصوات بمعناها الدلالي، ونشير إلى أن من الباحثين من يقبل النسبة إلى الجمع.

# الفصل الثالث

# الاستعارة والحجاج

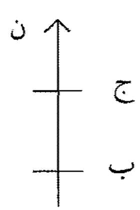
## مقدمة :

يهدف هذا العرض إلى تناول الاستعارة من منظور نظرية "الحجاج في اللغة". وقد انطلق من قراءة مقال ميشال لوغرن "الاستعارة والحجاج"[1]. وقد اعتمد فيه صاحبه أعمال برلمان إطارا نظريا ومنهجيا. والاستعارة تعد خاصية من أهم الخصائص الجوهرية للغات الطبيعية، مثلها في ذلك مثل الالتباس والقياس والشرح إلى غير ذلك، وقد ازداد الاهتمام بها في الآونة الأخيرة، فألفت فيها عشرات الكتب، وعقدت بشأنها ندوات ومؤتمرات شارك فيها باحثون ينتمون إلى مجالات معرفية مختلفة، كما أنها حظيت باهتمام اللغويين والأدباء والمناطقة والإعلاميين وفلاسفة اللغة وعلماء النفس وغيرهم. ولم تعد تعتبر شكلا بلاغيا وأسلوبيا، أو نوعا من أنواع الزخرف اللفظي والبياني ينتمي إلى الأدب بوجه عام، والبلاغة بشكل خاص.

## 1 – الاستعارة ومفهوم القوة الحجاجية :

قبل الحديث عن مفهوم القوة الحجاجية وعلاقته بالاستعارة، لابد من الإشارة إلى مفهوم يرتبط به أشد الارتباط وهو مفهوم "السلم الحجاجي" .ويعد هذا المفهوم الأخير من المفاهيم الأساسية في النظرية الحجاجية التي ساهمت إلى حد كبير في وصف "الميكانزمات" التي تحكم الاشتغال الحجاجي للغة. وقد اقترح ديكرو تحليلا للسلميات الحجاجية يهدف إلى وصف الأقوال وتحديد مراتبها باعتبار وجهتها وقوتها الحجاجيتين.

وبعبارة أخرى، فإن السلم الحجاجي هو علاقة ترتيبية للحجج يمكن أن نرمز لها على الشكل التالي :




ن = النتيجة

"ب" و"ح" : قولان أو حجتان

ويتسم السلم الحجاجي بالسمتين الآتيتين :

أ – كل قول يرد في درجة ما من درجات السلم، يكون القول الذي يعلوه دليلا أقوى منه بالنسبة ل ( ن ).

**ب** – إذا كان القول ( ب ) يؤدي إلى نتيجة ( ن )،

فهذا يستلزم أن ( ج ) الذي يعلوه درجة يؤدي إليها، والعكس غير صحيح.

فإذا أخذنا الجمل التالية:

**1** - حصل زيد على شهادة الإجازة

**2** - حصل زيد على الماجستير

**3** - حصل زيد على الدكتوراه

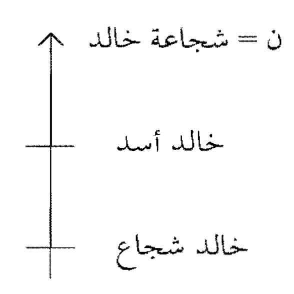
فإن القول الأخير هو الذي سيرد في أعلى درجات السلم الحجاجي، وحصول زيد على الدكتوراه هو بالتالي أقوى دليل على مقدرة زيد وعلى مكانته العلمية[2].

ولنعد إلى الأقوال الاستعارية، ولنأخذ الأمثلة التالية:

**4** - خالد بن الوليد شجاع

**5** - خالد بن الوليد أسد

إن الملاحظة البسيطة كافية لأن تبين لنا أن القول ( خالد بن الوليد أسد ) سيرد في أعلى السلم بالمقارنة مع القول الآخر، ويفسر هذا بأن القول الاستعاري له قوة حجاجية عالية. وسيكون السلم الحجاجي الذي سنحصل عليه على هذا الشكل:




إذن هناك علاقة وثيقة بين مفهوم السلم الحجاجي ومفهوم القوة الحجاجية. فالقول الذي يقع في أعلى درجات السلم هو الدليل الأقوى، وبعبارة أخرى، فإن الأدلة والحجج تكون متفاوتة في قوتها الحجاجية، والعلاقة الترتيبية بينها تكون باعتبار القوة الحجاجية التي لكل دليل. ويمكن أن نقول هذا أيضا عن أمثلة أخرى مثل:

6 - رأيت إنسانا جميل المحيا.
7 - رأيت شمسا.
8 - الوقت يمر بسرعة.
9 - الوقت يطير.

يبدو لنا من خلال الأمثلة السابقة أن الأقوال الاستعارية أعلى، حجاجيا، من الأقوال العادية.

إن الاستعارة - في رأينا- تقوم بدور مماثل لدور بعض الروابط الحجاجية مثل "حتى". فالدليل الذي يرد عادة بعد هذا الرابط يكون أقوى، حجاجيا، وأعلى، سلميا، من الأدلة التي ترد قبله. ولنأخذ المثال التالي:

**10** - حضر المحتسب وقاضي البلد حتى عامل الإقليم.

فهذا القول يشتمل على ثلاثة أدلة تخدم كلها نتيجة معينة من نمط: "كان اللقاء ناجحا" أو "حضرت شخصيات سامية إلى الحفل" إلى غير ذلك من النتائج الممكنة والمحتملة. وهذه الأدلة هي: "حضر المحتسب"، "حضر قاضي البلد"، "حضر عامل الإقليم"، ولكن القول الأخير هو الذي يقدمه المتكلم على أنه الدليل الأقوى. فمفهوم القوة الحجاجية يرتبط أساسا بالسياق وبمقاصد المتكلمين، ولا يمكن الحديث عنه خارج هذا الإطار. ونريد أن نشير هنا إلى مسألة أساسية تتعلق بإمكان ذكر الأدلة كلها أو ذكر بعضها فقط. فإذا أخذنا المثال التالي:

**11** - إن عبد الله بحر

فإن هذا القول الاستعاري هو الذي سيقع بالطبع في مرتبة عليا من مراتب السلم الحجاجي، ويمكن أن نتخيل أقوالا أخرى يستلزمها القول السابق، وترد في مراتب سفلى من هذا السلم مثل: " إنه كريم "، " إنه مضياف "... إلخ، أما النتيجة التي يقصد إليها المتكلم، فيمكن أن تكون من نمط " ما أكرمه "، أو " اقصده ليحسن إليك " أو " اطلب منه مساعدتك " إلى غير ذلك من النتائج الممكنة.

خلاصة الأمر أن الاستعارة من الوسائل اللغوية التي يستغلها المتكلم للوصول إلى أهدافه الحجاجية، بل إنها من الوسائل التي يعتمدها بشكل كبير جدا، ما دمنا نسلم بفرضية الطابع المجازي للغة الطبيعية، وما دمنا نعتبر الاستعارة إحدى الخصائص الجوهرية للسان البشري.

## 2 - الاستعارة والإبطال :

لقد سبقت الإشارة إلى أن القول الاستعاري يقدمه المتكلم على أنه دليل أقوى لصالح النتيجة المتوخاة، ونريد أن نشير هنا إلى أن هذه الخاصية التي للقول الاستعاري هي التي تجعله فوق الإبطال، وبعبارة أخرى، فإننا لا نتصور إمكان ورود دليل مضاد بعد القول الاستعاري يخدم النتيجة المعاكسة، أما الأقوال العادية ( غير الاستعارية )، فإنه يمكن أن ترد في سياقات الإبطال أو التعارض الحجاجي نحو :

**12** - الجو جميل لكنني متعب

**13** - هند جميلة لكنها بليدة.

فإذا أخذنا المثال الأول، فسنجد أنه يتكون من قولين يربط بينهما الرابط الحجاجي " لكن". وإذا كان القول الأول يتضمن عنصرا دلاليا يقدمه المتكلم باعتباره دليلا يخدم نتيجة معينة مثل "لنخرج للفسحة"، أو "هل تريد أن نتجول قليلا؟" فإن القول الثاني (إنني متعب ) يمكن اعتباره دليلا يخدم النتيجة المضادة للنتيجة السابقة "لن نخرج للفسحة" . ويجب التنبيه هنا إلى أن الدليل الذي يرد بعد "لكن" يكون أقوى من الدليل الذي يأتي قبلها، وهذه القوة الحجاجية هي التي تمكنه من توجيه القول بمجمله، فنتيجة المثال السابق ( الجو جميل لكنني متعب ) ستكون من نمط "لن نذهب للفسحة" أو "لن نتجول" . ويمكن تحليل المثال الثاني بالطريقة نفسها، لكن ما يميز

القول الاستعاري هو أنه يأبى أن يجيء بعده رابط من روابط التعارض الحجاجي مثل "لكن" و "بل"، أي أنه لا يقبل أن يرد في سياق الإبطال أو التعارض الحجاجي. وهذا ما يفسر لحن الجمل الآتية:

**14** - * زيد أسد لكنه متهور.
**15** - * خالد بحر لكنه مسرف.

وإذا استبدلنا الأقوال الاستعارية الواردة في المثالين ( 14 ) و( 15 ) بأقوال عادية، فإننا سنحصل إذاك على جمل سليمة:

**16** - زيد شجاع لكنه متهور
**17** - خالد كريم لكنه مسرف

وهنا أيضا يمكن أن نقارن بين القول الاستعاري والقول الذي يرد بعد "حتى" فهذا الأخير لا يقبل بدوره الإبطال أو التعارض الحجاجي، ولا يمكن أن نتصور إمكان ورود جملة مثل:

**18** - * هذا الشيخ نبذه أصدقاؤه وأقاربه حتى أولاده، ولكنه يتمتع بمعنويات عالية.

ويمكن إزالة " حتى " من هذا المثال لنحصل على قول سليم.

## 3 - الاستعارة الحجاجية والاستعارة البديعية :

إن فكرة تقسيم الاستعارة إلى أنواع فكرة واردة، وجدنها عند كثير من النقاد واللغويين، القدامى منهم والمحدثين، فقد قسم عبد القاهر الجرجاني الاستعارة إلى مفيدة وغير مفيدة. فالاستعارة المفيدة تلعب دورا أساسيا في البناء الشعري، ولولاها لم يحصل لك ما تريد تصويره، أما الاستعارة غير المفيدة فهي لا تعدو أن تكون تلاعبا بالألفاظ[3].

ونجد تقسيمات أخرى عند كل من كونراد الذي قسم الاستعارة إلى قسمين: استعارة لغوية واستعارة جمالية، وكذا عند رتشارد وجورج لايكوف ومارك جونسون وآخرين[4].

ولقد أطلقنا – في بحثنا هذا– على النوع الأول اسم "الاستعارة الحجاجية" وذلك لأن الاستعارة تدخل ضمن الوسائل اللغوية التي يستغلها المتكلم بقصد توجيه خطابه، وبقصد تحقيق أهدافه الحجاجية، والاستعارة الحجاجية هي النوع الأكثر انتشارا لارتباطها بمقاصد المتكلمين وبسياقاتهم التخاطبية والتواصلية. فنحن نجدها في اللغة اليومية، وفي الكتابات الأدبية والسياسية والصحفية والعلمية. ويمكن أن نمثل لها بما يلي :

**19** - اشتعل الرأس شيبا[5].

**20** - فإنك كالليل الذي هو مدركي[6].

21 - أسد علي وفي الحروب نعامة.

22 - كلام فارغ.

23 - دافع عن موقفك.

أما الاستعارة غير الحجاجية أو البديعية، فإنها تكون مقصودة لذاتها، ولا ترتبط بالمتكلمين وبمقاصدهم وأهدافهم الحجاجية. وإنما نجد هذا النوع من الاستعارة عند بعض الأدباء والفنانين الذين يهدفون من ورائه إلى إظهار تمكنهم من اللغة، فالسياق هنا إذن هو سياق الزخرف اللفظي والتفنن الأسلوبي وليس سياق التواصل والتخاطب، ويمكن أن نذكر من هذه الاستعارات مثلا:

24 – فأمطرت لؤلؤا من نرجس وسقت
وردا وعضت على العناب بالبرد

ويتضح لنا من خلال هذا المثال أن الشاعر لم يكن يهدف إلى التأثير في المخاطب أو إلى تحقيق بعض الغايات الحجاجية، بل كان يهدف إلى إظهار براعته في استعمال المحسنات البديعية.

---

1 – Michel le guern « Métaphore et argumentation in l argumentation. presses universitaires de Lyon, 1981

2 – أنظر تفاصيل هذا الموضوع في أعمال ديكرو، وخاصة كتابه: Les Echelles argumentatives

3 – عبد القادر الجرجاني: " اسرار البلاغة، ص: 126.

4 – Mark Johnson, George Lakoff, A. Richard, Konrad

5 – سورة مريم، آية: 4

6 – شطر بيت شعري للنابغة الذبياني.

# الفصل الرابع

# قوة الكلمات
# أو اللغة بين
# الإنجاز والحجاج

إن سلطة اللغة موضوع قديم حديث، درسه الباحثون في مجالات علمية ومعرفية مختلفة، وخصصوا له بحوثا ومؤلفات بكاملها. وسنحاول في بحثنا هذا أن ندرسه من منظور لساني وتداولي، وخاصة في إطار نظرية الأفعال اللغوية ونظرية الحجاج في اللغة.

## 1 - اللغة والإخبار

لقد كانت النماذج اللسانية الأولى، منذ سوسير، تعتبر أن وظيفة اللغة الأساسية هي الإخبار، ولقد كان مفهوم التواصل يفهم هو الآخر على أنه نقل للمعلومات إلى المتلقي، وبذلك يكون فعل الإخبار الفعل اللغوي الرئيسي. وتكون اللغة مجرد شفرة أو نظام من الرموز. هذا التصور الذي وجدناه في عدد كبير من النظريات الدلالية، وخاصة عند أصحاب التيار الوصفي في الدلالة Le Descriptivisme أو عند رواد الدلاليات الصدقية La Sémantique véricondionnelle، أو الدلاليات المنطقية الصورية، يرى أن الجانب الوصفي التمثيلي من المعنى هو الأساسي وهو الأهم، وأن المعاني الأخرى ثانوية. ومتبنوا هذا الاتجاه يعتبون أن كل قول إثباتي هو تمثيل أو وصف للواقع، ومن ثم فإنه يخضع لمعيار الصدق والكذب، ويستعملون مصطلحات ومفاهيم ذات أساس صدقي مثل الصدقVérité وشروط الصدق والقيمة الصدقية.

ولكن وجهة النظر هذه تعرضت لانتقادات كثيرة من قبل عدد كبير من اللغويين والفلاسفة، وفلاسفة اللغة العادية على وجه الخصوص، ويتعلق الأمر هنا بمدرسة أكسفورد، وبفلاسفة من أمثال ستراوسن وأوستين وسورل وغيرهم. فقد لاحظ هؤلاء أن طائفة كبيرة جدا من الأقوال لا تتمثل وظيفتها في الإخبار، ولا تصف أي واقع، ولا تخضع لمعيار الصدق والكذب، نذكر منها الأقوال الإنجازية والأقوال الملتبسة والأقوال التقييمية. فهذه العبارات التي تبدو لنا وصفية في الظاهر هي لا وصفية، وهذا ما جعل أوستين يستعمل مصطلح "الخداع الوصفي" L'illusion descriptive. ويمكن التمثيل لهذه الأنماط من الجمل بالأقوال التالية:

- أعلن افتتاح جلسة
- أغلق الباب
- أنت طالق
- رأيت عينا
- هذا الفندق ممتاز
- هذا الطالب ذكي

فالجمل الثلاثة الأولى جمل إنجازية، وقد أنجزنا بها أفعالا ثلاثة: فعل الافتتاح وفعل الأمر وفعل الطلاق. وهذه الجمل لا نصف بها واقعا معينا، وليس لها أي طابع وصفي أو تمثيلي، ولا يمكن أن نقول إنها صادقة (مطابقة

للواقع ) أو كاذبة ( غير مطابقة له ) . ونقول الشيء نفسه بالنسبة للجملة الرابعة التي تشتمل على التباس دلالي معجمي : فهل هي صادقة أم كاذبة ؟

والعين الواردة في المثال : هل هي عين الماء أم الجاسوس . . . . ؟ فما لم نعرف شروط صدق العبارة، فإننا لا نستطيع أن نسند إليها قيمة صدقية معينة، ولا نستطيع بالتالي أن نحدد معناها الوصفي أو محتواها الإخباري . أما الجملتان الخامسة والسادسة فهما جملتان تقييميتان، تتضمنان حكم قيمة évaluation، وليس لهما طابع وصفي واضح، كما أنه من الصعب أيضا تحديد جوانبهما الإعلامية والإخبارية .

وهذا النمط من الجمل هو الذي شكل نقطة انطلاق ظهور اتجاه دلالي آخر، مناقض للاتجاه الوصفي، يعرف بالدلاليات اللاوصفية L'ascriptivisme .

ويرى هذا الاتجاه أن جمل اللغات الطبيعية لا تصف أي شيء، وأنها تستعمل لإنجاز أفعال معينة من قبيل الأفعال التقييمية . فهؤلاء اللغويون والفلاسفة يرفضون أن تكون الوظيفة الأساسية للأقوال في اللغات الطبيعة هي الإخبار، أي نقل معلومات عن العالم الخارجي، أو تقديم تمثيلات لهذا العالم، بعبارة أخرى، يرفضون أن تكون الأقوال والجمل ذات طابع وصفي إثباتي، وأن تكون أيضا قابلة لأن توصف بكونها صادقة أو كاذبة .

## 2 - الفعل اللغوي والقوة الانجازية:

لقد تمت الإشارة منذ وقت بعيد، منذ عهد أرسطو على الأقل، إلى أن جل الأقوال في اللغة العادية لا يستعمل للوصف أو الإخبار، وليس خاضعا لمعيار الصدق والكذب. ولقد ذكر أرسطو كل الأقوال التي أطلق عليها البلاغيون العرب اسم "الجمل الإنشائية"، والتي سماها أوستين فيما بعد بالأقوال الإنجازية "les performatifs". ويتعلق الأمر هنا بالأقوال الموجهة إلى تحديد وتعيين مواقف المتكلم، أو إلى تمكينه من تحقيق أفعال كلامية مثل السؤال والأمر والتهديد، وبخصوص مثل هذه الأقوال، فإن مسألة الصدق والكذب لا معنى لها. فالجمل الأمرية أو الاستفهامية مثلا لا تصف أي واقع، ولا يمكن بالتالي أن يقال إنها صادقة أو كاذبة، ولكن مجرد النطق بها يشكل في حد ذاته فعلا معينا "acte/ action".

إن التصور التداولي للغة الذي نجده عند فلاسفة اللغة العادية من أمثال أوستين وسورل وغرايس، ونجده في نظرية الأفعال اللغوية بشكل خاص، يرفض أن تكون اللغة مجرد وسيلة لتمثيل الواقع أو الذهن، إنها جهاز يمكن من إنجاز أفعال من نمط معين: الأمر والوعد والنهي والاستفهام والنصح والشكر والتهنئة والإنذار والوعد والوعيد والتطليق والتعميد والتعجب والتهديد، وغيرها من الأفعال الكلامية العديدة والمتنوعة.

إن تحليل ظواهر مثل الاستفهام والأمر والوعد يبين أن اللغة تشتمل، بصفة ذاتية وجوهرية على مجموعة من الإجراءات التي تسمح بإقامة تنوع كبير في العلاقات الإنسانية التذاوتية "Interhumains" ، ولا يمكن إذاك أن تكون للغة وظيفة واحدة هي نقل المعلومات. إن الأمر يتعلق بقواعد لعبة أكبر، لعبة تمتزج بالوجود اليومي بشكل واسع، لعبة تشجع اللقاء بين الأفراد، وفي نفس الوقت تضبط إجراءه[1].

ويذهب سورل إلى أن تكلم لغة ما هو تبني شكل من أشكال السلوك، محكوم بقواعد[2]، وهذه القواعد على درجة عالية من التعقيد، ومعنى هذا أن استعمال اللغة أو التكلم سلوك مقعد مقصود، وأنه يتمثل في إنجاز أفعال لغوية وفق القواعد التي تحكم استعمال العناصر اللغوية. ومن هنا فإن نظرية اللغة تندرج في نظرية الفعل Théorie de l'action بصفة عامة.

إن الأقوال التي ننتجها في حياتنا اليومية لها، إذن، جانبان: جانب لغوي وجانب فعلي، إنها أقوال وأفعال، أو هي أقوال يمتزج فيها القول بالفعل، ومن هنا العنوان الدال والمعبر لكتاب أوستين: " عندما يكون الكلام فعلا " أو " عندما نقول، فإننا نفعل "Quand dire– c'est faire" .

ويمكن التمثيل للأفعال اللغوية أو الأقوال الإنجازية بالجمل التالية:

- أنت مطرود من عملك.
- أهنئك على نجاحك.
- أنت طالق.
- أعلن افتتاح الجلسة.

إذا تأملنا في هذه الأمثلة، يتضح لنا بشكل جلي الجانب الفعلي منها، فقد أنجز المتكلم بها فعل الطرد وفعل التهنئة وفعل التطليق وفعل الافتتاح.

والسؤال الذي يطرح الآن هو كالتالي: ما هو الفعل اللغوي؟ وما هي خصائصه وسماته؟ وللإجابة عن هذا السؤال ينبغي أن نحدد **أولا** مفهوم الفعل Acte.

يذهب ديكرو Ducrot إلى أن كل نشاط يقوم به شخص معين يمكن اعتباره فعلا أو عملا إذا كنا نحدده انطلاقا من التغييرات التي يحدثها أو يريد إحداثها في العالم، بما في ذلك التغييرات المتعلقة بالوضع الفيزيائي أو الاجتماعي للمتكلم، فنفس العمليات والحركات يمكن أن توصف بأنها نشاط خالص أو أن توصف بأنها فعل وعمل بحسب ما إذا كنا ننظر إليها في ذاتها، أو ننظر إليها باعتبارها تغيير لعلاقة من يقوم بها مع العالم[3].

ومن هنا، فإن الخاصية الأولى للفعل اللغوي تتمثل في كونه يحقق فعلا معينا، أي نشاطا يهدف إلى تحويل الواقع.

**ثانيا** : إنه فعل قانوني كما يذهب إلى ذلك اللغوي الفرنسي أزفالد ديكرو. ونتكلم عن الفعل القانوني عندما يتم تحديد نشاط ما باعتباره تحويلا للعلاقات الشرعية والقانونية الموجودة بين الأشخاص المعنيين[4]. والفعل اللغوي يهدف فعلا إلى خلق مجموعة من الحقوق والواجبات المتعلقة بالمتحاورين، ومن هنا القيمة القانونية المسندة إليه، والتحويلات التي يسعى إلى تحقيقها ذات طبيعة قانونية، وهي تحويلات مفترضة أو مرغوب فيها فقط. وهكذا فإننا سنعتبر نشاطا ما قانونيا، عندما نصفه بأنه نشاط إجرامي أو محل تقدير واعتبار، أو اعتراف بالالتزام وغير ذلك. فالقول الذي يتلفظ به القاضي مثلا يمكن اعتباره فعلا قانونيا لأنه لا يكون هناك أي أثر يفصل بين كلام القاضي وتحويل المتهم إلى محكوم عليه، لأن الكلام هو الذي يصدر الحكم.

**ثالثا** : إنه فعل مؤسساتي، فكثير من الأفعال اللغوية يرتبط إنجازها وتحقيقها بالعديد من المؤسسات الاجتماعية، لكن هذه الأفعال تنجز داخل اللغة وبواسطتها ومن هنا تسميتها بالأفعال الكلامية أو اللغوية. إنها أقوال بسبب طبيعتها اللغوية، وهي أفعال لأنها تهدف إلى تحويل الواقع أو تغيير العلاقة مع العالم، وهي كذلك لطبيعتها القانونية والشرعية والمؤسساتية والاجتماعية، ثم إن التكلم واستعمال اللغة هو نوع من التعهد والالتزام، وتحمل المسؤولية والواجبات.

**رابعا**: إنه فعل قصدي، فمن خلال التعرف على قصد المتكلم، أتعرف على الفعل اللغوي المنجز،فلو قال متكلم لآخر: "هناك خطر يحدق بك"، فقد يكون القصد من كلامه هذا الإخبار أو التنبيه أو السخرية[5].

**خامسا**: إنه فعل سياقي، بحيث لا يمكن النظر إليه بمعزل عن السياق. فإذا أخذنا جملة من قبيل: "سأحضر غدا"، فإننا نجد أنها تفيد معاني عديدة، وذلك بحسب السياق: فهي تفيد الإخبار في سياق ما، وفي سياق آخر قد تفيد الوعد، وقد يكون لها معنى التهديد في سياق ثالث.

**سادسا**: إنه فعل عرفي Conventionnel: إن الفعل اللغوي لكي يكون ناجحا، لابد أن يستجيب لمجموعة من الشروط المتعلقة باستعماله، وهذه الشروط تحدد الإطار الذي يكون فيه الفعل اللغوي ملائما للسياق الذي يظهر فيه.

وتتعلق هذه الشروط بمظاهر مختلفة نذكر منها:

- الظروف والأشخاص المشاركون في إنجاز الفعل اللغوي.
- مقاصد الأشخاص.
- نمط التأثير المرتبط بإنتاج الفعل اللغوي وقوليته.

وهذه الأنماط من الشروط هي التي يدعوها أوستين بشروط النجاح، والإخلال بأي شرط منها يؤدي إلى نمط من أنماط الفشل، كأن يكون الفعل منعدما أو حشويا أو

ليس له أي تأثير[6].

والفعل اللغوي يتمثل في الأقوال غير الوصفية التي لا يمكن أن نسند إليها أي قيمة صدقية، والتي لها طبيعة إنجازية، أي الأقوال التي يمتزج فيها القول ( Le dire ) بالفعل ( le faire ) . وقد توصل أوستين إلى التعرف، داخل الفعل اللغوي، الأكثر عمومية على ثلاثة أفعال متزامنة: فعل قولي "acte locutoire" وفعل تأثيري "perlocutoire" وفعل إنجازي أو تكليمي "illocutoire" . والفعل الإنجازي – الذي هو المفهوم المحوري والمركزي في النظرية – هو الفعل المنجز داخل الكلام بواسطة المتكلم أو هو قوته الإنجازية force illocutoire، وذلك في مقابل الفعل التأثيري المنجز بواسطة الكلام.

أما بالنسبة لسورل، فإن الأفعال المنجزة هي كالتالي:

– الفعل القولي: وذلك، أننا نتلفظ بكلمات وجمل.

– الفعل القضوي: ويتكون من الحمل والإحالة.

– الفعل الإنجازي: وقد يكون هو الأمر أو الوعد أو الوعيد...إلخ.

وهذه الأفعال ليست مستقلة بعضها عن بعض، فلا يمكن أن ننجز، مثلا، فعلا إنجازيا دون أن ننجز في الوقت نفسه فعلا قضويا ( قضية ) وفعلا قوليا.

ولقد اعتبر أوستين، في مرحلة لاحقة، وتابعة في

ذلك سورل وغيره، أن جميع الأقوال التي ننتجها في حياتنا العادية أقوال إنجازية.

وعلى العموم، يمكن تلخيص ما سبق على الشكل الآتي: إننا نميز داخل القول أو داخل معناه بين مكونين اثنين: المكون الموضوعي Objectif والمكون التداولي التذاوتي Intersubjectif، أي نميز بين القضية والقوة الإنجازية (أو الفعل المنجز). ويمكن الترميز لهذا على الشكل التالي:

**قوة (قضية)** F (P)

ولنحاول أن ندرس الآن الطبيعة العميقة للأفعال اللغوية. وللقيام بهذا، لابد من التمييز بين نوعين من القواعد، يرتبطان بإنتاج الفعل اللغوي: القاعدة التكوينية والقاعدة المعيارية[7]. وتكون قاعدة ما قاعدة تكوينية بالنسبة لشكل معين من النشاط عندما تؤسس وتحكم إمكانية وجود هذا النشاط نفسه، وخرق هذا النمط من القواعد يؤدي إلى توقف النشاط.

ويمكن التمثيل للقواعد التكوينية بقواعد البريدج: إننا نتوقف عن ممارسة لعبة البريدج عندما لا يتم احترام قواعد اللعبة، أما القاعدة المعيارية فهي التي تحكم نشاطا خارجيا بالنسبة للقاعدة، وتشكل الأوامر بعدم الوقوف مثالا خاصا لهذا النمط من القواعد. ومن هنا، فإن القواعد التي تحدد القوة الإنجازية لقول ما، أي التي تحدد الفعل الإنجازي المنجز من قبل المتكلم عند تلفظه بجملة

معينة، قواعد تكوينية أساسية بالنسبة لاستعمال هذا القول. ثم إن إنجاز فعل لغوي ما هو حدث مؤسساتي، أي يفترض وجوده وإنجازه بعض المؤسسات البشرية[8]. وإذا كانت الوقائع المؤسساتية لا يمكن تفسيرها إلا بالرجوع إلى القواعد التكوينية التحتية، فإن علينا أن نقبل أن التكلم هو إنجاز أفعال لغوية وفق القواعد الأساسية[9].

وإذا أخذنا فعل الوعد مثلا، فإن الخاصية التكوينية الأساسية لوعد ما، هي أنه يتمثل، بالنسبة للمتكلم، في عقد التزام بالقيام بفعل ما، حتى ولو كان المتكلم غير صادق في وعده، أي أنه لا ينوي أن يحترم التزاماته فعلا.

فيكفي أن يقول المرء: " أعد بـــ ...." ليكون قد التزم تجاه مستمع معين، والالتزام يلزم صاحبه، ومن هنا القاعدة التكوينية الأساسية للفعل الإنجازي "الوعد":

"إن استعمال "وعد" يتمثل في الالتزام ب (فعل معين) ف"[10].

ولفظة "وعد" هي مؤشر القوة الإنجازية.

أما بالنسبة لفعل الأمر، فإن إنجازه يتمثل في محاولة دفع المخاطب للقيام بفعل معين، ومعلوم أن المتكلم لا يصدر أمرا إلى من هو أمامه إلا إذا كان راغبا فعلا في أن ينفذه، ومعلوم أيضا أنه لا يمكن أن يصدر أمرا إلى مخاطبه إلا إذا كان قادرا على ممارسة سلطته ونفوذه عليه.

واللغة بحكم طبيعتها العرفية والقانونية والمؤسساتية، وبحكم سلطتها وقوة كلماتها، تكون ملزمة للأنا والآخر، وبعبارة أخرى تستعمل للإلزام والالتزام، وستتجلى لنا سلطة اللغة أو سلطة الكلام بشكل أكبر عندما نقف عند بعض المعايير والمبادئ التي تعتمد عادة في التصنيف والتمييز بين الأفعال اللغوية[11]. ونبدأ بالمعيار الأول الذي هو مسألة المطابقة بين الكلمات والواقع، وهو معيار يمكننا من التمييز بين الأفعال الأمرية (الأمر، النهي، الطلب، التحذير....) التي يكون فيها الواقع مطابقا للكلمات، وبين الأفعال الإثباتية التي تكون فيها الكلمات مطابقة للواقع، وأيضا الأفعال الإنجازية التي تكون فيها العلاقة تناظرية بين الكلمات والواقع، أي أن كلا منهما يطابق الآخر. ويهمنا هنا النمط الأول الذي يجعل فيه المتكلم الواقع مطابقا لكلماته، وهو ما يتطابق مع ما قلناه آنفا عندما عرفنا الفعل اللغوي بأنه يتمثل في إنجاز فعل معين، أي نشاط يهدف إلى تحويل الواقع، وأنه فعل ونشاط قانوني يهدف إلى تغيير وتحويل العلاقات الشرعية والقانونية الموجودة بين الأشخاص المعنيين.

هناك معيار آخر يتعلق بالاختلاف بين الأفعال اللغوية من حيث درجة إنجازيتها، ومن حيث ارتباطها بالمؤسسات الاجتماعية الخارجية. ويمكن التمثيل هنا للأفعال الانجازية المؤسساتية بفعل التطليق أو فعل التعميد Le baptême

أو فعل افتتاح الجلسة. . .إلخ. ويكفي أن يقول الزوج لزوجته: "أنت طالق" لتكون قد طلقت منه شرعا وقانونا، ولتكون قد حرمت عليه، ولنكون أمام واقع جديد لم يعد فيه للعلاقة الزوجية أو لمؤسسة الزواج أي وجود. وقول المتكلم المطلق هذا يصبح فعلا وحدثا يؤدي إلى تغيير الواقع وتحويله، وتكون له نتائج شرعية وقانونية ومؤسساتية واجتماعية خطيرة. فباللغة إذن وقع الطلاق، وهو فعل وحدث اجتماعي، ومؤسساتي، وعبارة: "أنت طالق" فعل لغوي، وفي الوقت نفسه فعل مادي واجتماعي ونقول الشيء نفسه بالنسبة لفعل افتتاح الجلسة، فعندما يعلن الرئيس افتتاح الجلسة بقوله: "بسم الله أفتتح الجلسة"، تكون الجلسة قد افتتحت، ويشرع في العمل. فالعبارة السابقة قول وفعل، ولا يمكن أن تبدأ الإجراءات وأن يدلي الشهود والمحامون والقضاة والمتهمون بشهاداتهم وأقوالهم وآرائهم وأحكامهم إلا بعد حصول فعل الافتتاح من قبل الرئيس المتكلم، بواسطة اللغة (أي فعل لغوي).

وهناك معيار ثالث، يتعلق هذه المرة بالالتزام والإلزام، ففي الوعد يلتزم المتكلم بالقيام بفعل معين، أما في الأمر، فإنه يحمل المخاطب على القيام بهذا الفعل. وعندما يتعلق الأمر بالالتزام، فإن الأقوال تختلف من حيث درجة الالتزام فيها، ونمثل لذلك بالمثالين التاليين:

- أقترح أن نذهب إلى المسرح

- لابد من الذهاب إلى المسرح

فإذا قارنا بين هذين المثالين، فسنجد أن المثال الثاني يتضمن درجة عالية من الالتزام.

وهناك أيضا مسألة وضع المتكلم والمخاطب. وفي هذا الإطار نميز بين فعل الطلب الذي يكون عادة من مرؤوس إلى رئيسه، أو من صديق إلى صديقه، وبين فعل الأمر الذي يكون من رئيس إلى مرؤوس، بموجب السلطة التي يخولها له القانون، وبموجب السلطة المؤسسية.

نخلص من هذا كله إلى أنه لا يمكن اعتبار الإخبار الوظيفة الوحيدة للغة كما ذهب إلى ذلك كثير من النماذج اللسانية، فليست اللغة مجرد شفرة Code، بل لا يمكن اعتباره الوظيفة الأولى والأساسية. إننا نستعمل اللغة لإنجاز أفعال عديدة، ولتغيير الواقع أو تغيير علاقتنا معه وللتأثير في الغير وفي الأشياء، ومن هنا سلطتها وسلطانها، وقوة كلماتها.

## 3 - الحجاج والقوة الحجاجية

سنحاول، بالنسبة لبحثنا هذا، أن نقف عند مفهومي الحجة Argument والقوة الحجاجية، لنبين من خلالهما بعض مظاهر سلطة الخطاب وقوة الكلام. فالحجة عنصر دلالي، متضمن في القول، يقدمه المتكلم على أنه يخدم ويؤدي إلى عنصر دلالي آخر، والذي يصيرها حجة، أو يمنحها طبيعتها الحجاجية هو السياق، فما يمكن أن يكون حجة في هذا السياق قد لا يكون كذلك في سياق آخر، حتى ولو تعلق الأمر بنفس المحتوى القضوي، أو بنفس الحدث fait المعبر عنه داخل القول. وقد تتحقق الحجة على شكل لفظة أو قول أو خطاب برمته. وإذا أخذنا المثال التالي:

- لقد وجدنا الآلة التي قتلت بها الضحية عند زيد.

فهذا القول يتضمن حجة، ووجود الآلة عند زيد حجة على أنه هو القاتل، ويكفي أن يتلفظ المتكلم بهذه العبارة التي هي في الوقت ذاته حجة لغوية ليكون بذلك قد حدد وجهة الخطاب، وحدد المسار الذي ينبغي أن يسير الحوار فيه، بل ومسار البحث الذي يقوم به رجال الشرطة. وإذا سلم المخاطب أو المستمع بهذه الحجة، فهو ملزم بقبول النتيجة التي يمكن أن تستنتج منها، ومعلوم أن النتائج الممكنة والمحتملة تتعدد بتعدد السياقات التي

ترد فيها الحجة المقصودة .

ويمكن أن نستشهد في هذا السياق أيضا بالبيت الشعري الشهير الذي هجا به الشاعر الأموي جرير الراعي النميري وقبيلته :

فغض الطرف إنك من نمير

فلا كعبا بلغت ولا كلابا

والشطر الأول من البيت يشتمل على نتيجة هي : "غض الطرف" ، وحجة تؤدي إليها هي : "أنت من قبيلة نمير" ، فإذا كنت نميريا فغض الطرف ، والحجة تستلزم النتيجة ، وإذا قبلت العنصر الأول من عنصري العلاقة الحجاجية ، فلا بد أن تقبل العنصر الثاني وتسلم بوجوده ، وبعبارة أخرى ، لابد من الخضوع لمنطق اللغة ومنطق الخطاب .

والرابط الحجاجي الوارد في البيت هو التجاور La juxtaposition الذي غالبا ما يفيد السببية ، ولو اعتمدنا روابط حجاجية أخرى لتعددت الصياغات وتنوعت العلاقات ، ولكنا أمام صيغ وتعابير من قبيل :

- إذا كنت من نمير فغض الطرف ( شرط واستلزام )
- غض الطرف لأنك من نمير ( تفسير )
- أنت من نمير ، إذن غض الطرف ( استنتاج )
- بما أنك من نمير فغض الطرف ( تبرير )

لقد كان لكلام جرير من القوة والسلطان، ما جعل أفراد قبيلة الشاعر النميري يغضون الطرف فترة من الزمان، ولم يعد بإمكان النميري إلا أن يغض طرفه ويحني رأسه إذا التقى بشخص من قبيلة أخرى، تنفيذا للأمر الوارد في البيت الشعري وخضوعا لسلطة اللغة ومنطقها، فسلطان الكلام ليس فوقه سلطان، وقوة الحجاج ليس ينكرها أحد.

لقد اجتمع في هذا البيت الشعري سلطة الحجاج وقوة الكلمات وسلطان الشعر، وقوة الحجاج من قوة الكلمات، وسلطة الشعر من سلطة الخطاب.

فعبارة "أنت من نمير" لن تكون حجة دائما وأبدا، أي أنها ليست كذلك بطبعها وطبيعتها، بحيث أنها متى استعملت، كانت حجة ودليلا على شيء، بل إن السياق هو الذي أكسبها طابعها الحجاجي، وهو الذي منحها هذه القوة الحجاجية العالية. ففي سياق التعارف مثلا لن يستعمل هذا القول باعتباره حجة ودليلا لغويا، ولكن ستكون له دلالات ووظائف أخرى، فالحجاج في اللغات الطبيعية يتسم بسمات عديدة منها أنه نسبي ومرن وتدرجي وذو طبيعة سياقية. ولنأخذ أمثلة أخرى:

- أنا متعب
- الساعة تشير إلى الثامنة
- زيد طالب مجتهد

- ما أنت بالحكم الترضي حكومته
- سر إن اسطعت في الهواء رويدا

يكفي أن يتلفظ المتكلم بالقول الأول الذي يتضمن حجة تخدم نتيجة مضمرة من قبيل: "سأنصرف إلى البيت" أو "أنا بحاجة إلى الراحة"، ليكون قد حدد لنفسه دورا تخاطبيا معينا، وحدد دورا آخر لمخاطبه، ويكون رد الفعل الممكن والمحتمل الذي يمكن أن يصدر عن كل واحد منهما متوقعا ومتنبأ به بحسب السياق. فالأدوار التخاطبية والاجتماعية عديدة ومتنوعة يمكن أن نذكر منها دور السائل ودور المجيب، دور المقترح ودور المعترض، الآمر والمنفذ.. .إلخ.ويمكن أن نقول الشيء نفسه عن الأمثلة الأخرى التي قد توظف باعتبارها حججا تؤدي إلى نتائج ظاهرة أو مضمرة.

وننتقل الآن إلى مفهوم القوة الحجاجية، فنقول إذا كانت البراهين المنطقية والرياضية متكافئة ومتساوية من حيث قوتها، ومتماثلة من حيث طبيعتها، فإن الحجج التي يتضمنها الخطاب الطبيعي ليست كذلك، إنها متفاوتة من حيث قوتها الحجاجية، فهناك الحجج القوية والحجج الضعيفة، وهناك الحجج الأكثر قوة والحجج الأكثر ضعفا.

ويرتبط مفهوم القوة الحجاجية بمفهوم السلم الحجاجي، وهذا الأخير هو علاقة ترتيبية للحجج، تحدد

بموجبها مراتب الأقوال ودرجاتها باعتبار وجهتها وقوتها الحجاجيتين. ولنبين هذا نورد البيت الشعري التالي:

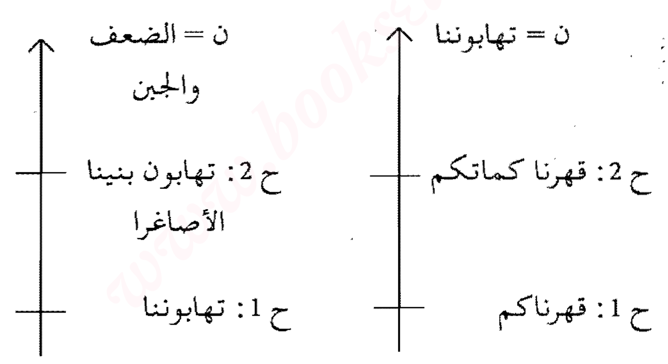
قهرناكم، حتى الكماة فأنتم
تهابوننا،حتى بنينا الأصاغرا

فالشطر الأول من البيت يشتمل على حجتين هما: "قهرناكم" و"قهرنا كماتكم"، وهما تخدمان معا النتيجة الواردة في الشطر الثاني من البيت: "أنتم تهابوننا". ولكن السؤال الذي نطرحه هنا هو الآتي: هل سترد هاتان الحجتان في نفس الدرجة من درجات السلم الحجاجي؟ هل لهما قوة حجاجية متماثلة؟ إن الجواب سيكون بالنفي طبعا، فالحجة التي جاءت بعد "حتى" هي الحجة الأقوى، "وقهرنا كماتكم" وهم الأبطال الشجعان هو الدليل القوي على شجاعتنا وبسالتنا في الحروب. وإذا كان الشطر الأول من البيت قد اشتمل على حجج تؤكد قوتنا وبطولتنا، فإن الشطر الثاني منه تضمن حججا تؤكد ضعف الخصوم وهوانهم. فالحجتان الوردتان في هذا الشطر هما: "أنتم تهابوننا" و "أنتم تهابون بنينا الأصاغرا"، وهما تؤديان إلى نتيجة ضمنية مضمرة من قبيل "أنتم ضعفاء" أو "أنتم جبناء" أو غيرهما من النتائج المحتملة. وقد لاحظنا أن العبارة "أنتم تهابوننا" التي شكلت النتيجة بالنسبة للعلاقة الحجاجية الواردة في الشطر الأول، ستصبح، هي نفسها، الحجة الأولى في العلاقة الحجاجية الثانية في الشطر

الثاني.

وهذا ولد نوعا من التعالق والترابط بين الحجج والنتائج، وجعل الاستدلال الحجاجي الذي تضمنه البيت الشعري برمته متسلسلا ومتماسكا ومتناميا، وحفظ له وحدته وانسجامه.

إن الحجة الأخيرة "تهابون بنينا الأصاغرا" هي الحجة الأقوى والدليل الناصع على ضعف الخصوم وهوانهم. ويمكن أن نرمز لهاتين العلاقتين بواسطة السلمين الحجاجيين التاليين:




وإذا كان كل قول يرد في درجة ما من درجات السلم الحجاجي، فإن القول الذي يعلوه في هذا السلم يكون دليلا أقوى منه بالنسبة للنتيجة المقصودة.

ومن الفرضيات التي تقوم عليها نظرية الحجاج في اللغة، هو أن طائفة كبيرة من ألفاظ اللغة وكلماتها وتراكيبها ليس له معنى وصفي واضح، أو ليس له محتوى إخباري بين، وإذا سلمنا بهذا، فإن وظيفتها ستكون إذاك

وظيفة حجاجية بالأساس.

وحتى إذا اشتمل معنى بعض الكلمات أو العبارات على مكون وصفي إخباري، فإنه يكون تابعا للمكون الحجاجي، ويكون ثانويا بالقياس إليه. فالمعنى الحجاجي هو الذي يعتمد في تسلسل الخطاب وتناميه، وهو الذي يحكم توالي الأقوال وتتابعها، بصورة استنتاجية، داخل الخطاب. وكيف لا يكون الأمر كذلك، وعدد كبير جدا من الكلمات والمفردات قد تصل نسبة إلى 80% أو يزيد لا نعرف معناها ولكن نعرف جيدا كيف نستعملها، وكيف نوظفها في خطاباتنا وحواراتنا من أجل التأثير في الآخر.

نخلص من هذا كله إلى أن الألفاظ والأقوال والعبارات التي نستعملها وننتجها في حياتنا اليومية لها طابع حجاجي واضح، ولها قوة حجاجية بارزة تسعى من خلالها إلى التأثير في المتلقي، وإلى دفعه إلى تبني رأي ما، أو الاستجابة لطلب معين، أو اتخاذ موقف ما من قضية من القضايا، أو إلى تغيير آرائه ومواقفه بشكل عام.

## 4 - قوة الكلام وقوة الكلمات

إذا كان مفهوم القوة Force يستعمل في مجالات علمية ومعرفية عديدة، يستعمل في الفيزياء وعلم النفس والفيزيولوجيا وعلم الاجتماع وغيرها من العلوم، فإنه يستعمل كذلك في مجال اللغة وعلم اللغة. وإذا كان هذا المفهوم يشمل في الفيزياء كل ما من شأنه أن يغير وضع الاستقرار أو الحركة بالنسبة لجسم معين، وإذا كان يعني، في علم النفس، القدرة الأخلاقية أو الذهنية، المتعلقة بالطبع أو بالإرادة، فإن له، في مجال اللغة، معاني ترتبط أيضا بالتأثير والتغيير.

ولقد استعمله عدد كبير من اللسانيين والبلاغيين وفلاسفة اللغة والأدباء ومحللي الخطاب. فتحدث فلاسفة اللغة العادية (أوستين، سورل...) عن القوة الإنجازية أو التكليمية للكلام (Force illocutoire)، وتحدث أزفالد ديكرو عن القوة الحجاجية (Force Argumentative) للأقوال والألفاظ، وقد استعمل رواد اللسانيات المعرفية مصطلح القوة المعرفية (Force cognitive)، وهناك استعمالات أخرى لا يمكن حصرها واستقصاؤها، ولكن الاستعمالات التي أوردناها ودرسناها بشكل مفصل إلى حد ما، هي الاستعمالات البارزة في فلسفة اللغة واللسانيات، والتي عرفت شيوعا وذيوعا على ألسنة الباحثين والدارسين، وفي أبحاثهم ودراساتهم بمختلف أنواعها واتجاهاتها.

وهذا كله يبين أن للكلام سلطانا ما بعده سلطان، وأن للكلمات قوة عظيمة لا تخفى، وتأثيرا قويا لا ينكر.

# الهوامش

1 - أنظر كتاب Dire et ne pas dire لأزفالد ديكرو، ص: 4 - 5.

2 - سورل: Les actes de langage، ص: 52.

3 - ديكرو: المصدر السابق، ص: 77.

4 - المصدر السابق، ص: 77.

5 - جاك موشلير: J.Moeschler: Argumentation et conversation ص: 24.

6 - المصدر السابق.

7 - أنظر المبحث المخصص للقواعد من الفصل الثاني من كتاب جون سورل: Les actes de langage، ص: 82-72.

8 - المصدر السابق، ص 92.

9 - نفس المصدر، ص: 93.

10 - نفسه، ص: 105.

11 - أنظر الفصل الأول من كتاب "المعنى والتعبير" Sens et expression لسورل والذي يحمل عنوان: " تصنيف الأفعال اللغوية "، وأيضا كتاب موشلير السابق الذكر.

12 - أنظر أعمال ديكرو وغريز وبرلمان لمزيد من التفصيل.

13 - انظر بالنسبة لهذه النظرية أعمال ديكرو وأنسكومبر، وخاصة كتاب (السلميات الحجاجية) 1980 لديكرو، وكتاب (الحجاج في اللغة) لأنسكومبر وديكرو 1983.

14 - انظر الفصل الخاص بالمظاهر الحجاجية للخطاب القرآني في كتابنا: (الخطاب والحجاج)، 2006 (قيد الطبع).

# الخاتمة

لقد كنا نهدف، من خلال هذا البحث، إلى تحقيق مجموعة من الأهداف والغايات، التي نذكر بعضها على سبيل التمثيل لا الحصر:

– إبراز بعض جوانب الحجاج والاستدلال الطبيعي في اللغة من جهة، وبيان أهمية التحليل الحجاجي للظواهر اللغوية بمختلف أنماطها وأنواعها من جهة أخرى.

– تأكيد فرضية الطبيعة الحجاجية للغات الطبيعية، وبالتالي اعتبار المنطق أو النموذج الحجاجي منطقا للغة البشرية.

– توسيع مجال النظرية وتطويرها باقتراح مفاهيم جديدة من قبيل الانسجام الحجاجي وتعالق الروابط والاستراتيجية الخطابية وغيرها من جهة، وتوسيع مجال تطبيقها ليشمل ظواهر لغوية جديدة (الاستعارة مثلا)، وليسهل تطبيقه على نصوص عديدة ومتنوعة من جهة أخرى.

وإذا كنا قد حققنا بعض الأهداف المتوخاة، فهناك أهداف أخرى لم نتمكن من تحقيقها لأسباب تتعلق بضيق الوقت أو بأمور أخرى. فهناك قضايا عديدة، أشرنا إليها، في غضون البحث، بشكل عابر ومقتضب، وهناك قضايا أخرى لم نتمكن من إدراجها بتاتا بالرغم مما جمعناه من معلومات بشأنها.

والفصول التطبيقية بحاجة إلى التوسيع والتفصيل مثل الفصل الخاص بالروابط الحجاجية العربية، والفصل الخاص بالاستعارة.

وعلى العموم، فهذا البحث محاولة أولى لدراسة الجوانب الحجاجية في اللغة العربية، بوجه خاص، واللغة البشرية بوجه عام. وستتلوه بحوث ودراسات من أجل تدارك النقص وتوسيع مجال البحث وتحقيق الأهداف الأخرى التي لم نتمكن من تحقيقها، والله من وراء القصد، وهو يهدي السبيل.

# فهرس المصادر والمراجع

# المــراجع العربيـــة

التربية، العدد: 15، الجديدة 2004.

– العزاوي أبو بكر: الخطاب والحجاج، 2006 (كتاب قيد النشر).

– غيتمانوفا الكسندرا: علم المنطق، دار التقدم، موسكو، 1989.

– فاخوري عادل: المنطق الرياضي، دار العلم للملايين، بيروت، 1979.

– القرطاجني حازم: منهاج البلغاء، تحقيق محمد الحبيب بلخوجة تونس، 1966.

– الكيلاني نجيب: رحلة إلى الله (رواية)، دار البشير للثقافة والعلوم، طنطا، الطبعة الأولى، 2001.

– المالقي أحمد بن عبد النور: رصف المباني في شرح حروف المعاني، تحقيق أحمد محمد الخراط، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق.

– محفوظ نجيب: زقاق المدق (رواية)

– محمد سالم محمد: التعليل في القرآن الكريم، أولاد عثمان للطباعة، ط1، 1995.

– المرادي الحسن بن القاسم: الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1983.

– مطر أحمد: لافتات 2، لندن 1987.

– مفتاح محمد: تحليل الخطاب الشعري، المركز الثقافي العربي، البيضاء، 1985.

- مفتاح محمد: دينامية النص، المركز الثقافي العربي، ط 1، البيضاء 1987.
- المناظرة (مجلة): العدد: 4، 1991، الرباط.
- ابن منظور: لسان العرب.
- ابن ميس عبد السلام: قضايا في الإبستمولوجيا والمنطق، شركة المدارس للنشر والتوزيع، البيضاء، 2000.
- ابن هشام: مغني اللبيب، تحقيق مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، بيروت، 1979.

# المـــراجع الأجنبـــــية

– Abraham. W. (1974): « some semantic properties of some conjuctions» in Corder, S.P et Roulet, E (EDS) : Some implications of linguistic theory for applied linguistics, Brussels, Aimav et Paris, Didier, 1975, P:7-32.

– Abraham. W. (1979): « But » studia linguistica XXXIII; II, 1979.

- Anscombre. J.C. (1973) : « Même le roi de France est sage : un essai de description sémantique», communica-tions, n: 20, 1973.

- Anscombre. J.C. (1984) : « Argumentation et topoï», in Argumentation et valeurs, 5ème colloque d albi, 1984.

- Anscombre. J.C. et Ducrot. O (1977) : « Deux mais en français» Lingua n: 43, 1977.

– Anscombre. J.C. et Ducrot. O (1983) : L argumentation dans la langue Mardaga, Bruxelles.

- Anscombre. J.C. et Ducrot. O (1986) : « Argumentativité et informativité» in M. Meyer (ed) : De la métaphysique à la rhétorique. Université de Bruxelles.

- Anscombre. J.C.(ed),(1995) :Théorie des topoï, KIME, Paris.

- Aristote (1967) : La rhétorique.

- Aristote (1983) : Les Topiques.

- Azzaoui. Boubker (1990) : Quelques connecteurs pragmatiques en arabe littéraire, Thèse de doctorat Unique (PHD), EHESS, Paris.

- Azzaoui. Boubker: « CR de l ouvrage: l implication dans les langues naturelles et les langues formels» in: langues et littérature, N° 9, Faculté de lettres, Rabat.

- Azzaoui. Boubker: « Logique, langage et argumentation: Entretien avec J.B. Grise» (sous presse).

- Azzaoui. Boubker: Argumentation et énonciation (sous presse), A.S. Impression, 2006.

- Austin. J.L. (1970) : Quand dire c est faire, Seuil. Paris, 1970.

- Baker. C (1970) : « Double Négatives» in Linguistics Inquiry, n: 2.

- Bakhtine. M (1970) : la poétique de DOSTOÏEVSKI. Seuil, paris 1970.

- Bellenger. L (1984) : L argumentation. Les éditions E.S.F. Paris 1984.

- Berrendonner. A (1981) : Eléments de pragmatique lin-guistique, Minuit, Paris, 1981.

- Berrendonner. A (1981) : « connecteurs

pragmatiques et anaphore», cahier de ling. française n: 5, 1983, Genève.

- Blanché. R (1967) : Raison et discours, Vrin, Paris, 1967.

- Blanché. R (1968) : Introduction à la logique contempo-raine, Armand Colin, Paris.

- Blachère. R (1976) : Eléments de l arabe classique. 4ème édition, Maisonneuve et Larousse, Paris, 1976.

- Blachère. R et Gaudefroy-Demombynes. M: Grammaire de l arabe classique (Morphologie et syntaxe), Maison-neuve, Paris, 1975.

- Borel. M.J. (1978) : Discours de la logique et logique du discours l Age d homme, lausanne, 1978.

- Borel. M.J. (1979) : « l idée de logique naturelle» Revue de théologie et de philosophie, III, 1979.

- Borel. M.J. Grize. J.B, Miéville. D, (1983) : Essai de logique naturelle Peter. Lang, berne, 1983.

- Cadiot. A, Chevalier. J.C et al (1979) : « oui mais, non mais ou il y a dialogue et dialogue», Langue française n°: 42, 1979.

- Carel. M (2002) : « occupe-toi d Amélie», emploi cont-rastif de mais et illustration» CLF, n: 24, Genève.

- Chomsky. N (1975) : Questions de

sémantique, le seuil, paris.

- Corblin. F (1987) : « sur la notion de connexion» in Le français moderne, n: 3-4; 1987.

- Cornulier. B. de (1984) :« pour l analyse minimaliste de certaines expressions de quantité». Journal of pragmatics,8

- Dascal. M and katriel. T (1977): « Betwenn Semantics and pragmatics: tow types of But. Hebrew Aval and Elay», Theoretical linguistics, 4, 3, 1977.

- Davidson. D et Harman. G (eds), (1972) : Semantics of natural languages, Dordrecht, 1972.

- Dik. S. (1978) :Functinal Grammar, North-Holland, 1978.

- Dubois. J et al (1973) : Dictionnaire de linguistique, La-rousse, paris.

- Ducrot. O (1972) : « D un mauvais usage de la logique», in Martinet. A(ed) : De la théorie linguistique à l enseignement de la langue, P.U.F. paris.

- Ducrot. O (1972) : Dire et ne pas dire, Hermann, paris.

- Ducrot. O (1977) : « Illocutoir et performatif», Linguistique et semiologie 4, (repris dans Ducrot, 1972, 2ème édition).

- Ducrot. O (1978) : « Deux mais» in syntaxe et Sens, Journée d études, Université René Descartes, 1978.

- Ducrot.O(1980a) : « Analysespragmatiques» communica-tions. N°: 32.

- Ducrot. O (1980b) : Les échelles argumentatives, Minuit, Paris.

- Ducrot. O (1982) : « note sur l argumentation et l acte d ar gumenter» Cahiers de linguistique française n:4. Genève.

- Ducrot.O(1983) :« Opérateursargumentatifs et visée argumentative» cahier de ling. Française, n: 5.

- Ducrot. O (1984) : Le dire et le dit, Minuit Paris.

- Ducrot. O (1986) : « Quand le langue Ordinaire se donne comme langage scientifique» in P. Ouellet (ED) : Les discours du savoir. Chicoutimi. 1986.

- Ducrot. O (2002) : « Quand peu et un peu semblent coorientés: peu après et un peu après» CLF, n: 24, Genève.

- Ducrot. O (1987a) : « Sémantique et Vérité», Recherches linguistiques de Vincennes, n: 16. Paris.

- Ducrot.O (1987b) :« Argumentation et

topoï rgumenta-tifs», Actes de la 8ème rencontre des prof. de français de l enseignement supérieur, Université de Helsinki, 1987.

- Ducrot. O (1988) : « Topoï et formes topiques», Bulletin d études de linguistique française, Tokyo, n: 22, 1988.

- Ducrot. O et al (1980) : Les mots du discours, Minuit, Paris.

- Fauconnier. G (1975) : « Pragmatic scales and logical structure», Linguistic Inquiry, n:4.

- Fauconnier. G (1976) : « Remarque sur la théorie des phénomènes scalaires» , Sémantikos , 1; 3.

- Fauconnier. G (1980) :Etudes de certains aspects logiques et grammaticaux de la quantification et de l anaphore en français et en anglais, champion, Paris.

- Fauconnier. G (1984) : Espaces mentaux, Minuit, Paris.

- Fillmore. C.J (1965): « Entailment Rules in a semantic theory» in Project on linguistic analysis, Report 10, Colombus (Ohio).

- Fleisch. H : Traité de philologie arabe, 2 volumes, Dar El-machreq Beyrouth, 1979.

- Fraser. B (1971) : « An analysis of even in English», in studies in linguistic analysis, New York, p.151-178.

- Gaatone. D (1971): Etude descriptive du système de la négation en français contemporain DROZ, Genève.

- Galmiche. M (1975) : <u>Sémantique générative</u> Larousse, Paris.

- Gardies. J.L (1995) : « L analyse entre raisonnement et calcul» in travaux CDRS, n: 63.

- Geach. P.t (1972) : <u>Logic Matters, Black Well, Osford.</u>

- Gochet. P (1972): <u>Esquisse d une théorie nominaliste de la proposition</u>. Armand colin, Paris.

- Gochet. P (1987) : « Ducrot s notion of argumentative direction» in <u>Doxa</u>, Budapest.

- Crice.P (1979):« Logique et conversation» <u>Communications</u> n: 30, Paris.

- Grize. J.B (1971) : « Logique de l argumentation et discours argumentatif» <u>Travaux du centre de recherches sémiologiques,</u> n: 7, Neuchatel.

- Grize. J.B (1982) : <u>De la logique à l argumentation.</u> Genève, Paris Droz.

- Grize. J.B (1995) : « <u>Le raisonnement est il un pis aller ?» in CDRS</u>, n:63.

- Grize. J.B (1990) : <u>Logique et langage,</u>

Paris, Ophrys.

- Grize. J.B (1996) : Logique naturelle et communications, Paris, P.U.F.

-Grize.J.B(2003) :PréfacedeB.AZZAOUI. Argumentation et énonciation, A.S. Impression, Casa 2006.

-Harris.Z(1971) :Structures mathématiques du langage, Dunod, paris.

- Horn. L(1969):« A presuppositional analysis of « only»», and « even» Papers from the fifth regional meeting of the Chicago linguistics society, (R.I. Binnick et alü. Ed), Chicago.

- Horn. L (1972): On the semantics properties of logical operators in English, University of California in Los Angles.

- Loup. G (1975): « Some universals for quantifier scope» in: Kimbal (1975), (trad, fr, dans Etudes de ling appliqué n°: 19).

- Karttunen. L and Peters. S (1979): « Conventional Implicature», in ok et dinnen (eds), syntax and semantics. II, Academic Press.

-Katz. J.J (1977) : Propositional structure and illocutionary force, New York : Thomas Crowell.

-Kerbrat_Orecchioni.C(1980): L énonciation. De la subjectivité dans le langage,

Aramand Colin, Paris.

-Kerbrat_Orecchioni. C (1984) : « Dire et se contredire» in G. Maurand (ed) : Argumentation et valeurs, 5ème colloque, Albi.

- Lakoff. G (1970): « Linguistics and natural logic», synthèse; 22 (trad. franç 1976, klincksiek).

- Lakoff. G (1971): « On generative semantics», in Steinberg and Jakobovits (Eds): Semantics, Cambridge, univ. press.

- Lakoff. R(1971):« Ifs, and s and but s about cojuinction», in studies in linguistic semantics, New York.

- Lewis. D (1972): « General semantics » in Davidson et Harman (eds).

- Martin. R (1973) : « Le mot puisque : notion d adverbe de phrase et de présupposition sémantique» Studia Neophilogica, vol: XLV, n: 1.

- Martin. R (1975) : « Sr l unité du mot même», Travaux de linguistique et de littérature, 13. Strasbourg.

- Martin. R (1976) : Inférence, antonymie et paraphrase (Eléments pour une théorie Sémantique), Klincksieck, Paris.

- Martin. R (1983) : Pour une logique du sens. P.U.F, Paris.

- Martin. R (1985) : « Argumentation

et Sémantique des mondes possibles», Revue Internationale de Philosophie, n: 155, fasc: 4.

- Meyer. M (1982) : Logique, Langue et argumentation, Hachette, paris.

- Meyer. M (1986) « ed» : De la métaphysique à la rhétorique, Editions de l Université de Bruxelles.

- Miéville. D et Berrendonner. A (eds), (1997) : Logique, discours et pensée, Allemagne, Peter lang.

- Miquel. A: « Le particule Hatta» dans le Coran», in B.E.A, 21, 1968.

- Moeschler. J (1985) : « Argumentation et conversation, Hatier, Paris.

- Moeschler. J (2002) : « Connecteurs, encodage conceptuel et encodage procédural», CLF, n: 24, Genève.

- Moris. C. W (1948): Fondations of the theory of signs, Chicago.

- Mounin. G (1974) : Dictionnaire de la linguistique, P.U.F, Paris.

- Muller. C (1977) : « Analyse linguistique des relations de champ entre quantificateurs et négation», Langages, n: 48. Larousse.

- Nef. F (1981) : « Encore» in Langages n: 64.

- Portine. H (1988) : « Essai sur les modalités et la notion de catégorie modale» thèse de Doctorat d état, Université de paris 7, 2 volumes.

- Roulet. F (1981) : « Les énoncés performatifs», Minuit, Paris.

- Rossani. C (2002) : « Les adverbes connecteurs: vers une identification de la classe et des sous-classes», CLF, n: 24 Genève.

- Récanati. E et al (1985) : L articulation du discours en français contemporain Peter Lang, Berne.

- Sakahara. S (1985) : « Le pseudo-usage et l inférence pragmatique» Semantikos, vol: 9, n: 2.

- Searle.J.R (1972) :Les actes de langage. Essai de philosophie du langage Hermann, Paris.

- Searle. J.R (1982): Sens et expressions, Minuit, Paris.

# فهرس
# الموضوعات

## الفهرس



## الدكتور أبو بكر العزاوي

أستاذ التعليم العالي
بجامعة القاضي عياض
رئيس الجمعية المغربية لتكامل العلوم
عضو بعدد من مراكز البحث العلمي


له مؤلفات عديدة بالعربية و الفرنسية منها:

- الخطاب و الحجاج
- الحوار و الحجاج و الاختلاف
- Argumentation et énonciation
- اللغة و الحجاج
- الفضاء في اللغة

إننا نتكلم عامة بقصد التأثير و الإقناع، واللغة تحمل بصفة ذاتية وجوهرية، وظيفة حجاجية، أي أن هذه الوظيفة مؤشر لها في بنية الأقوال نفسها، وفي المعنى وكل الظواهر العرفية والمعجمية و التركيبية والدلالية. ومن هذه المؤشرات نذكر الروابط و العوامل الحجاجية ( بل، لكن، حتى، لا سيما، لأن، إذ، إذن . . . ) وتنتمي دراسة الحجاج إلى البحوث التي تسعى إلى اكتشاف منطق اللغة، أي القواعد الداخلية للخطاب والمتحكمة في تسلسل الأقوال وتتابعها بشكل متنام وتدريجي


الأحمدية

Tél. : (022) 25 22 33 - 23 67 50
Fax : (022) 23 66 74